جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

أحَاديثُ الشَّحِّ والبُخْلِ في صَحِيحِ الإمامِ مُسْلِم (دراسةً بلاغيةً)

الدكتور

عمر عبد الراضي عكاشة جاد الرب

المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا - جامعة الأزهر -
جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

أحَاديثُ الشُّحِّ والبُخْلِ في صَحِيحِ الإمامِ مُسْلِم (دراسةً بلاغيةً)

عمر عبد الراضي عكاشة جاد الرب

قسم البلاغة والنقد ـ كلية اللغة العربية بجرجا ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: omarabdelready.2040@azhar.edu.eg

الملخص :

الهدف من البحث دراسة "أحَادِيثُ الشُّحِّ والبُخْلِ فِي صَحِيحِ الإمَامِ مُسْلِم (دراسةً بلاغيةً)"، والكشف عن الروايات الأخرى المتقاربة معه في المعنى من صحيح البخاري وغيره، والفرق بين الشح والبخل، وتحليل ذلك بالمنهج التحليلي التكاملي البلاغي، وجاءت الدراسة في مبحثين، الأول في "الشح"، والثاني في "البخل"، ومن النتائج التي توصل إليها البحث: أن الدراسة تناولت سبعة أحاديث، منها خمسة أحاديث في "الشح"، وحديثان في "البخل"، ومن خلال ذلك تبين أن "الشح" أعم من "البخل"؛ لكثرة وروده، وخطرهما لا يقتصر على الفرد نفسه المتصف بأحدهما أو كلاهما، وإنما يعم الفرد والأسرة والمجتمع، وقد تنوعت الأساليب البلاغية في أحاديث الشح والبخل، فقد جاءت المقابلة بين قوله ـ ﷺ ـ: (تَخْشَى الْفَقْرَ) و(تَأْمُلُ الْغِنَى) تكشف عن حالتي التضاد القائم بين حالتي خشية الفقر، والأمل في الغنى عند الإنسان الصحيح، والمقابلة هنا هي التي تبرهن على صدق المتصدق الصحيح الشحيح، وجاء أسلوب القصر بـ (إنما) في قوله ـ ﷺ ـ: (وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الشَّحِيحِ)، (وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ)، يفيد قصر واختصاص صدقة الشحيح أو البخيل على نذره المشروط، ونفي ما عدا ذلك، ويفيد أسلوب القصر هنا التعريض بتوبيخ فعل البخيل؛ لأنه ليس الغرض من "إنما" معرفة خروج صدقة البخيل، ولا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

معرفة قِلَّة صدقته، ولكن الغرض توبيخ فعله، وجاءت الكناية عن شدائد وأهوال يوم القيامة في قوله ــ ﷺ ــ: "فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وتعانقت الصورة البديعية "المقابلة" مع الصورة البيانية "التمثيلة" في إخراج هذه الصورة الفريدة، في قوله ــ ﷺ ــ: "مَثَلُ المُنْفِقِ وَالمُتَصَدِّقِ"، ولو لاها لما تَمَّ نظم المعنى، وتزيد رواية البخاري بقوله ــ ﷺ ــ: "فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا"، بمجيئها عن طريق أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، والذي زاد في دلالة بيان إخراج هذه الصورة الفريدة، وتقوى الله تعالى، وتزكية النفس في قوله ــ ﷺ ــ: "اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا"، توسط بين رذائل تصيب النفس وأَرْذَلُهَا العجز، وأشياء تخذل النفس وأَخْذَلُهَا علم لا ينفع، فكأن انتقال النفس من التخلية من الرذائل إلى التحلية بالفضائل لا يكون إلا عن طريق تقواها وتزكيتها بيد الله ــ ﷻ ــ، والله تعالى ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

الكلمات المفتاحية: أحاديث الشح والبخل ، صحيح الإمام مسلم .

Hadiths of stinginess and miserliness in the Sahih of Imam Muslim (Rhetorical Study)

Omar Abdel Radi Okasha Gad Lord
Department of Rhetoric and Criticism - Faculty of Arabic Language in Gerga - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt
Email: omarabdelready.2040@azhar.edu.eg

Abstract

The aim of the research is to study the 'hadiths of stinginess and miserliness in the Sahih of Imam Muslim (a rhetorical study)', and to uncover other narrations that are similar to him in meaning from Sahih al-Bukhari and others, and the difference between scarcity and miserliness, and the study came in two researches, an integrative analytical approach. Among the findings of the research is that the study dealt with seven hadiths, five of which are in "stinginess" and two hadiths in "miserliness." Through this it was found that "stinginess" is more general than "miserliness." ; Because of its abundance and roses, and their danger is not limited to the individual himself who is characterized by one or both of them, but pervades the individual, the family, and society, and the rhetorical methods have varied in hadiths of stinginess and miserliness, the interview came between his words -ﷺ -: (fear poverty) and (contemplate wealth) reveals my case The contradiction between the two states of fear of poverty and the hope for wealth in the true human being, and the interview here is that which proves the sincerity of the right and scrupulous charitable trust. From Al-Bakhil), according to the shortness and competence of the charity of the miser or miser on his conditional vow, and the denial of all other things, and the method of minors here indicates the exposure to reproach the act of the curmudgeon. Because it is not the purpose of 'but' to know the exodus of the miser's charity, nor to know his lack of charity, but the purpose is to rebuke his action, and the metaphor for the hardships and horrors of the Day of Resurrection came in his saying -ﷺ -: "For injustice is injustices on the Day of Resurrection."The graphic image "representation" in producingthis unique image, inhissaying -ﷺ- "The parable of the spleen and the one who is giving alms." And if it had not, the

meaning would not have been organized. In order to conceal his splendor and pardon his unique effect, and in the way of his saying, the miserly person does not want to spend anything except for the sake of every part and exclusion of you. "May God bring my soul to strengthen it, its zeal, you are the best who praises it, you are its protector and its protector", mediating between vices that afflict the soul and despise it and despise it. Q. From abandoning vices to enhancing virtues can only be done through piety and recommending them in the hand of God - ﷻ -, and God Almighty ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (Al-Ra'd: 11)

Keywords: Hadiths of stinginess and miserliness - Sahih Imam Muslim.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتُمنح الجوائز والمكافئات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات، وعلى آله وصحبه الأماجد الثقات.

وبعد

فإن أعظم الكلام بعد كتاب الله ــ ﷻ ــ هو كلام رسول الله ــ ﷺ ــ الذي لا ينطق عن الهوى، وفي ظلال الهدي النبوي اقتطفت من ظلاله الوارفة هذه الأحاديث النبوية الشريفة التي تكلم فيها معلم الأمة وطبيبها الأول رسول الله ــ ﷺ ــ مبيناً ومحذرًا الأمة من الشح والبخل، لا سيما المؤمنين الذين يعيشون تحت قبة الإسلام، والذين هم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تتداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، والشح والبخل داؤهما قديم، وبلاؤهما عظيم، ولا يسلم منهما إلا مَنْ استمسك بحبل الله تعالى، ووقاه الله شرهما، ومن خطر الشح والبخل أن آثارهما السلبية لا تقتصر على الفرد نفسه، وإنما تعم الفرد والأسرة والمجتمع، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة: " أحَادِيثُ الشُّحِّ والبُخْلِ فِي صَحِيحِ الإمامِ مُسْلم (دراسةً بلاغيةً)"، والتي تسير في ركب الدراسة البلاغية القائمة على المنهج التحليلي.

والهدف من البحث دراسة أحاديث الشح والبخل في صحيح مسلم دراسة بلاغية، والكشف عن الآثار السلبية لهما، والفرق بين الشح والبخل، وتحليل ذلك بالمنهج التحليلي التكاملي البلاغي.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومما لا شك فيه أن الشح والبخل وردا في أحاديث رسول الله ــ ﷺ ــ في مواطن عديدة، والتحذير منهما دليل على مدى خطرهما على الفرد والأسرة والمجتمع، وقد اقتصرت الدراسة على المواطن التي جاء فيها ذكر الشح والبخل في كلامه ــ ﷺ ــ في صحيح مسلم، أو مَنْ اتُّهِمَ بالشُّحِّ أمام رسول الله ــ ﷺ ــ كموقف هند مع زوجها أبي سفيان، وكانت أكثر الدراسة في المواطن التي حذر فيها رسول الله ــ ﷺ ــ من الشح والبخل ؛ لأنه لن يصف أحد مدى خطرهما مثل وصفه ــ ﷺ ــ، ولن يبين أحد الدواء الناجع لهما مثل بيانه ــ ﷺ ــ، وقد اعتمدت في الدراسة على صحيح الإمام مسلم في بيان مواطنهما، مع بيان الفرق بين الروايات المتقاربة معه في المعنى من صحيح الإمام البخاري وغيره، وبيان أخذ معنى الحديث من القرآن الكريم، وقد بدأت بذكر أحاديث "الشح"؛ لأنها أكثر من أحاديث "البخل"، هذا بالإضافة إلى أن "الشح" أعم من "البخل" كما سيأتي بيانه في هذه الدراسة التي أستمد من الله تعالى العون والتوفيق فيها، وأسأله تعالى العصمة من الذلل والخطأ.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

المقدمة: ذكرت فيها أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه.

التمهيد: ذكرت فيه تعريف "الشح"، و "البخل"، لغة واصطلاحاً، والفرق بينهما.

المبحث الأول: أحاديث "الشح"، وقد اشتمل على خمسة أحاديث جاءت في مقام الحث على الصدقة، وفي مقام النذر، وفي مقام الأخذ من مال الزوج بالمعروف، وفي مقام التحذير من الشح.

المبحث الثاني: أحاديث "البخل"، وقد اشتمل على حديثين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي اشتملت عليها الدراسة، ثم ذكرت فهرساً للمصادر والمراجع، ثم فهرساً للموضوعات.

وقد حرصتُ على تحليل كل حديث تحليلاً بلاغياً يقوم على تجلية معناه، مع بيان الفرق بين الروايات المتقاربة له في المعنى، والكشف عن خصوصيات المعاني داخل كل حديث، وبيان أهم ما يستفاد من الحديث.

وأرجو أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة إلى حقل الدراسة البلاغية القائمة على تذوق النظم النبوي الشريف، وعلى الله قصد السبيل، وهو ولي التوفيق.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التمهيد

تعريف الشح لغة: (البُخْل والحِرْصُ، وَقيل: هُوَ أَشَدُّ البُخْل، وَهُوَ أَبْلَغ فِي المنْعِ من البُخْل، وَقيل: البُخْل فِي أَفرادِ الأُمورِ وآحادِهَا، والشُّحُّ عامٌّ. وَقيل: البُخْلُ بِالْمَالِ، والشُّحُّ بالمالِ والمعروفِ).[١]

تعريف الشح اصطلاحاً: (هو بُخل الرَّجُل من مال غيره، قال ﷺ: "اتقوا الشح، فإن الشح أَهْلَكَ مَن كان قبلكم")[٢]، فهو (بخل مع حرص، وذلك فيما كان عادة، قال تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء:١٢٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ [الحشر:٩]، يقال: رجل شَحِيحٌ، وقوم أَشِحَّةٌ، قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ... أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ﴾ [الأحزاب:١٩]).[٣]

تعريف البخل لغة: (البُخْل والبَخَل: لُغَتَانِ وَقُرِئَ بِهِمَا [٤]، والبَخْل والبُخُول: ضِدُّ الْكَرَمِ، وَقَدْ بَخِلَ يَبْخَلُ بُخْلًا وبَخَلًا، فَهُوَ بَاخِل: ذُو بُخْل، وَالْجَمْعُ بُخَّال، وبَخِيل والجميع بُخَلاء، ورَجُل بَخَل: وُصِف بِالْمَصْدَرِ...، وكَذَلِكَ بَخَّال ومُبَخَّل، والبَخَّال: الشَّدِيدُ البُخْل).[٥]

---

١)) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، ت/ مجموعة من المحققين ــ (شحح) ــ دار الهداية من دون تاريخ.

٢)) كتاب التعريفات للجرجاني، ت/ إبراهيم الأبياري ٦٢ــ دار الريان للتراث ــ من دون تاريخ.

٣)) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ت/ صفوان عدنان الداودي ٤٤٦ ــ دار القلم ــ الدار الشامية ــ دمشق بيروت ــ ط الأولى ١٤١٢هـ.

(٤) كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤].

٥)) لسان العرب لابن منظور (بخل) ــ دار صادر ــ بيروت ــ ط الثالثة ١٤١٤هـ.

تعريف البُخْل اصطلاحـاً: هو (إمساك المُقْتَنَيَاتِ عمّا لا يحق حبسُهَا عنه، ويقابله الجود، يقال: بَخِلَ فهو بَاخِلٌ، وأمّا البَخِيل فالذي يكثر منه البخل، كالرحيم من الراحم، والبُخْلُ ضربان: بخل بِقَنِيَّاتِ نفسه، وبخل بِقَنِيَّاتِ غيره، وهو أكثرها ذمّا، دليلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾ [النساء:٣٧])[١]، وقيل: (هو المنع من مالِ نفسه...، وقيل: البخل: تَرْك الإيثار عند الحاجة، قال حكيم: البخل: مَحْوُ صِفات الإنسانية، وإثبات عادات الحَيوانيّة).[٢]

من خلال تعريف الشح والبخل يتبين أن البخل من الصفات المذمومة التي لا تستسيغها النفوس السوية، وهي لؤم في النفس، تُطبع عليه حتى يصير داءً دوياً، وأي داءٍ أدوأ من البخل؟، وكما أن مقتل الرجل وكذبه بين فكَّيه كذلك بخله بين كفَّيه، فقد يتظاهر الإنسان بأنه كريم، أو يُحِبُ أن يُمْدَحَ بالكرم، لكن بُخْلَهُ بكَفَّيه يُكَذِّبُ مَنْ يَمْدَحُهُ بفَكَّيه، وأما الشح فإن كان البخل مذموماً فالشح أكثر ذماً؛ لأن الشح أشد في الحرص والمنع من البخل، والشح من الصفات الوضيعة الدنيئة، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب العبد المؤمن كما قال رسول الله ــ ﷺ ــ (لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا).[٣]

---

١)) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١٠٩ بتصرف.

٢)) كتاب التعريفات للجرجاني، ت/ إبراهيم الأبياري ٦٢.

٣)) المجتبى من السنن المسمى بـ: السنن الصغرى للنسائي، ت/ عبد الفتاح أبو غدة ٦/١٣ــ باب فَضْلُ مَنْ عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى قَدَمِهِ ــ رقم ٣١١٠ ــ مكتب المطبوعات الإسلامية ــ حلب ــ ط الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الفرق بين الشح والبخل: أن الشُّح الحِرْص على منع الْخَيْر، وَيُقَال: زند شحاح إِذا لم يور نَارًا، وَإِن شح عَلَيْهِ الْقدح كَأَنَّهُ حَرِيص على منع ذَلِك، وَالبخل منع الحق فَلَا يُقَال لمن يُؤَدِّي حُقُوق الله تَعَالَى بخيل، وقد يفرق بينهما بأن الشح: البخل مع حرص، فهو أشد من البخل، وقيل: الشح: اللؤم، وأن تكون النفس حريصة على المنع، وقد أضيف إلى النفس في قوله تعالى: ﴿ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴾ [النساء:١٢٨]؛ لأنه غريزة فيها، وفي الحديث: ..." لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا"..، وقيل: الشح إفراط في الحرص على الشيء، ويكون بالمال وبغيره من الأغراض، يقال: هو شحيح بمودتك، أي: حريص على دوامها، ولا يقال بخيل، والبخيل: يكون بالمال خاصة [١]، وقيل:(الشحّ "بالضم والكسر": اللؤم، وأن تكون نفس الرجل كَزَّةً[٢] حريصة على المنع...، وأما البخل فهو: المنع نفسه) [٣]، والشح أخطر من البخل؛ لأنه (ما محق الإسلام محق الشح شيء)؛ لأن الإسلام هو تسليم النفس والمال لحقوق الله فإذا جاء الشح فقد ذهب بذل المال، ومن شح به فهو بالنفس أشح، ومن جاد بالنفس كان بالمال أجود، فالشح يمحق الإسلام، ولا يعادله في ذلك شيء)[٤]، وعلى ذلك فالشح أعم

---

(١)معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ت/ الشيخ بيت الله بيات ١٩٦،٢٩٥ــ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ــ ط الأولى١٤١٢هـ، وسبق تخريج الحديث.

(٢) الكَزازُ: البُخْلُ، ورَجُلٌ كَزُّ الْيَدَيْنِ أَي: بَخِيلٌ. لسان العرب (كزز).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٥٠٥/٤ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٥/ ٤٦٥ ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ ط الأولى ١٣٥٦هـ.

من البخل، والشح غريزة وطبع، والبخل تطبع، والشح أخطر من البخل؛ لأن الله تعالى قال:﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ﴾ [الحشر:٩]، ولم يقل: ومَن يوق بخل نفسه؛ ولذلك اعتبر الخطابي أن الشح هو أخذ مال الغير ظلمًا، واستدل على ذلك بما روي عن أبي الشعثاء قال: قلت لعبد الله بن مسعود: يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال: ولم ذاك؟ قلت: لأني سمعت الله يقول: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩]، وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، قال : ليس ذاك الشح الذي ذكره الله في القرآن، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلمًا، ولكن ذاك البخل، وبئس الشيء البخل).[١]

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ت/محمد خلف الله أحمد، د/محمد زغلول سلام ٣٠، ٣١ ــ دار المعارف بمصر ــ ط الثالثة من دون تاريخ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول : أحاديث الشُّح

١ ـ أحاديث في مقام الحث على الصدقة:

١ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ ــ ﷺ ــ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ فَقَالَ: " أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ ".(١)

معنى الحديث: أنه يبين فضل الصدقة التي تكون في حال صحة الإنسان، مع حاجته لهذا المال؛ لأن (أفضل الصَّدَقَة أَن تَتَصَدَّق حَال حياتك وصحتك مَعَ احتياجك إِلَيْهِ واختصاصك بِهِ، لَا فِي حَال سقمك وَسِيَاق موتك؛ لِأَن المَال حِينَئِذٍ خرج عَنْك وَتعلق بغيرك).(٢)

ويلحظ أن الحديث صُدِّرَ بالاستفهام؛ لأن الرجل يتشوق لمعرفة الإجابة من رسول الله ــ ﷺ ــ، وقد يكون تشويق له وللآخرين لمعرفة الإجابة من رسول الله ــ ﷺ ــ فهو أهل للسؤال، وأهل للإجابة، والاستفهام (من طرق التشويق إلى المعنى، وتهيئة المخاطب لتلقيه، فالأصل في الاستفهام طلب الفهم)(٣)، وسؤال الرجل جاء على حقيقته في قوله: "أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟"،

---

(١) صحيح مسلم المسمى بـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ــ ﷺ ــ للإمام مسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ٧١٦/٢ ــ رقم ٩٢ ــ١٠٣٢ــ بَابُ بَيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الصَّحِيحِ الشَّحِيحِ ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت من دون تاريخ.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٨/ ٢٨٠ ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت من دون تاريخ.

(٣) التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه د/ بسيوني عبد الفتاح فيود ١٤ ــ مطبعة الحسين الإسلامية بالقاهرة ــ ط الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

أَيْ: أَيُّ الصدقة أعظم أجرًا؟، ولذلك جاء السؤال عن الأفضل في رواية الإمام البخاري: (أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفضل؟)(١)، ويجيء الجواب الشافي من رسول الله ــ ﷺ ــ بقوله: (أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ)، وانظر إلى نظم هذه الجملة، حيث قدم ــ ﷺ ــ الصحة على الشح، فلم يقل مثلاً: أن تصدق وأنت شحيح صحيح، وإنما قال: (أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ)؛ لأن المقصود من الصدقة الأعظم أجرًا والأفضل هي التي تكون حال صحة الإنسان، وليست التي تكون حال سِقَمِه، فالمقصود صحيح البدن، وصحة البدن يتأتى منها الشح والحرص على الغنى، عكس المرض عندها تصغر الدنيا في عين الإنسان، فعبارة النبي ــ ﷺ ــ كاشفة للأحوال التي تعتري المرء في حياته، وعبر ــ ﷺ ــ بالشح فقال: (وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ)، ولم يقل: وأنت صحيح بخيل؛ لأن الشح أقوى وأشد في المنع والحرص من البخل، وهذه الصيغة، أعني قوله: ــ ﷺ ــ (وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ) أشد في المنع والحرص من رواية: (وَأَنْتَ صَحِيحٌ حريص)(٢)؛ لأن إخراج الصدقة حال الصحة فيه نوع من مجاهدة النفس الأمارة بالسوء مع تزيين الشيطان لها بطول العمر وخوف الفقر، والأمل في الغنى؛ ولذلك جاء قوله ــ ﷺ ــ : (تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى) كاشفاً عن هذا، والخشية من الفقر والطمع في الغنى هما من أسباب شح الإنسان، ومن يوق شح نفسه يصل إلى الثواب الأعظم أجرًا والأفضل للصدقة، (والصَّدَقَةُ: ما يخرجه الإنسان من ماله على

---

(١) صحيح البخاري المسمى بـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ــ ﷺ ــ وسننه وأيامه للإمام البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر ٤/٤ ــ رقم ٢٧٤٨ ــ بَابُ الصَّدَقَةِ عِنْدَ المَوْتِ ــ دار طوق النجاة ــ ط الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) السابق.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وجه القربة كالزّكاة، لكن الصدّقة في الأصل تقال للمتطـوّع بـه، والزّكـاة للواجب، وقد يسمَّى الواجب صدقة إذا تحرّى صاحبها الصّدق في فعلـه)[١]، ولأن في الزكاة والصدقات دليلـاً على صدق الإيمان، وهذا مما بَيَّن صـدق المؤمنين وكذب المنافقين في كثير من آيات الذكر الحكيم، ومن ذلك قولـه تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[التوبة:٩٨]، والمقابلة[٢] بين قوله ــ ﷺ ــ: (تَخْشَـى الْفَقْرَ) و(تَأْمُلُ الْغِنَى) كشفت عن حالتي التضاد عنـد الإنسـان الصـحيح، والسلوك المتباين المتناقض، فالحالة ينتزعها الفقر مرة، والغنى مرة أخرى، فكيف يجتمعان ؟ فالإنسان الشحيح نفسه مضطربة غير سوية بـين حـالتي خشية الفقر، والأمل في الغنى، والمقابلة هنا هي التي ــ أيضـاً ــ تبـرهن على صدق المتصدق الصحيح الشحيح، وكذلك الجناس الناقص (اللاحـق)[٣] بين (صحيح) و(شحيح) يبرهن على صدق المتصدق، وهو من المحسـنات اللفظية، حيث يبين النغم اللطيف بين الكلمتين، والجناس يعطـى جرسـا لطيفـا ترتاح له الأذن، ويصغي إليه السامع، ومن البين أن ثمرة الجنـاس تنطوي تحت الخداع المغري بالتكرار مع عدم الفائدة، ثم يتبين خلاف ذلـك بالرجوع، مما يكون له على النفس وقع محبوب فـ (كأنـه يخـدعك عـن

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٤٨٠.

(٢) المقابلة: هو أن يؤتَى بمعنيينِ متوافقينِ، أو مَعَانٍ متوافقةٍ، ثم بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب. ينظر بغية الإيضاح لـلشيخ/ عبد المتعال الصـعيدي ١٢/٤ــ مكتبـة الآداب ــ القاهرة ــ ط التاسعة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٣) الجناس الناقص (اللاحق): هو ما كان الحرفان المختلفان فيه غيـر متقـاربين. السـابق ٧٤/٤ بتصرف.

الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها)[١]، وإن كانت هذه القيمة تبدو في الجناس التام، وتبدو أوضح ما تكون في الجناس التام غير المركب، ويلحظ أن الجناس الناقص مع المقابلة تعضدا في البرهان على صدق المتصدق، ولولاهما لما كان يصل المتصدق الصحيح الشحيح إلى ثواب الصدقة الأعظم أجرًا، ويلحظ أن الجناس الناقص وإن بدا في جرس الكلمتين، كذلك يبدو النقص بين الصحيح والشحيح من ناحية المعنى في الحديث؛ حيث إن الشح في النفس غريزة فيها، وهي صفة مذمومة، وهي تنقص من قدر الإنسان بقدر تعلقه بالمال وحرصه عليه، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى أن يكون محمودًا وهو مصاب بفيروسها، ولذلك قال رسول الله ــ ﷺ ــ : " لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا "[٢]، والصحة حالة كمال في الإنسان، تجعله أكثر تعلقاً بالمال، وتحمله على الشح خشية الفقر والأمل في الغنى، فكأن الإنسان في صراع مع نفسه وهواه والشيطان، فإن تغلَّبَ عليهم وبادر بالصدقة حال صحته فاز بالثواب الأعظم أجرًا، وإن أخرها إلى حال سقمه ومرضه لم ينل ثوابها الأعظم؛ لأنه ينفقها في حال ضعفه وزهده في الدنيا، وعندئذ فعله هذا لم يمحو عنه سمة البخل، و(لاَ يَكْسِبُ اَلحَمْدَ فَتَىً شَحِيحُ).[٣]

---

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، ت الشيخ / محمود محمد شاكر ٨ ــ مطبعة المدني بالقاهرة وجدة ــ ط الأولي ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م.

(٢) سبق تخريج الحديث في السنن الصغرى للنسائي.

(٣) يُضربْ في ذَمِّ البُخل. مجمع الأمثال للميداني، ت/ محمد محيى الدين عبد الحميد٢ /٢٤٨ ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان من دون تاريخ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثم يأتي قوله ــ ﷺ ــ : (وَلَا تُمْهِلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ) أسلوب إنشائي غرضه النصح والإرشاد، إما أن يُحْمَلَ على النهي: (وَلَا تُمْهِلْ) من الإمهال وهو: التأخير والتأجيل[١]، ويكون بإسكان اللام، أو يُحْمَل على النفي ويكون بالرفع: (ولا تُمْهِلُ) بضم اللام، ويجوز نصب اللام: (ولا تمهلَ)[٢] على تقدير أن محذوفة، والتقدير: وأن لا تهملَ، والإمهال في الصدقة إلى بلوغ الروح الحلقوم يضيِّع ثوابها هباءً منثورًا؛ لأنها حينئذ تكون قد خالفت شروط صحتها التي جاءت في صدر الحديث في قوله ــ ﷺ ــ : (أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى)، وهذ الحديث الشريف معناه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون:١٠]، وقوله ــ ﷺ ــ: (قُلْتَ) كناية عن المُوصِي، وقوله: (لِفُلَانٍ) كناية عن المُوصَى لَهُ بالوصية، وقوله: (كَذَا) كناية عن الموصَى به، وتكرارها في الحديث هنا يفيد التكثير، والوصية جائزة فيما لا يزيد عن ثلث التركة؛ لقوله ــ ﷺ ــ لسعد ــ رضي الله عنه ــ عندما مرض وأراد أن يوصي لابنته بنصف ماله: (الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ)[٣]، وقوله ــ ﷺ ــ: (وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ) كناية عن الوَارِثِ، ومن أهم ما يستفاد به من الحديث: بيان فضل تعجيل الصدقة حال الصحة، والتحذير من تأخيرها إلى حال المرض.

---

(١) ومَهَّلَه تَمْهِيلًا: أَجَّله. لسان العرب (مهل).

(٢) وردت الروايات الثلاثة في قوله ــ ﷺ ــ: (ولا تمهل) في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٢/٢٨٠.

(٣) صحيح البخاري ٣/٤ ــ رقم ٢٧٤٤ــ بَابُ الوَصِيَّةِ بِالثُّلُثِ.

٢ ـ أحاديث في مقام النذر :

١ــ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ــ ﷺ ــ يَوْمًا يَنْهَانَا عَنِ النَّذْرِ[١]، وَيَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الشَّحِيحِ»[٢]، وفي رواية عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ــ ﷺ ــ أَنَّهُ قَالَ: «النَّذْرُ لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا، وَلَا يُؤَخِّرُهُ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»[٣]، وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ــ ﷺ ــ قَالَ: «لَا تَنْذِرُوا، فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»[٤]، وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ــ ﷺ ــ أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَرُدُّ مِنَ الْقَدَرِ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»[٥]، وفي رواية عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ــ ﷺ ــ قَالَ: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَرِّبُ مِنِ ابْنِ آدَمَ شَيْئًا لَمْ يَكُنِ اللهُ قَدَّرَهُ لَهُ، وَلَكِنِ النَّذْرُ يُوَافِقُ القَدَرَ، فَيُخْرَجُ بِذَلِكَ مِنَ البَخِيلِ مَا لَمْ يَكُنِ البَخِيلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ».[٦]

المعنى العام لهذه الأحاديث الشريفة: أن بعض الناس إذا أراد أن يَحْصُلَ له فعل خير، أو يُصْرَفَ عنه شر عَلَّقَ حدوث ذلك على نذر معلَّق أو مشروط، إنْ حدث ذلك الخير له، أو صُرِفَ عنه ذلك الشر تصدق بصدقة

---

(١) النّذر: الْتِزَام مَا لَا يلْزم، فَرُبمَا ثقل على النَّفس أَدَاؤُهُ، وَرُبمَا عجزت عَنهُ، وَرُبمَا كرهت فعل ذَلِك، فَيكون فَاعله للطاعة مَعَ الكَرَاهَة لَهَا. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، ت/ علي حسين البواب ٢/٥٦٥ ــ دار الوطن ــ الرياض ــ من دون تاريخ.

(٢) صحيح مسلم ٣/١٢٦٠ ــ رقم ٢ ــ ١٦٣٩ ــ بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا.

(٣) السابق ٣/١٢٦١ ــ رقم ٣ ــ ١٦٣٩ ــ بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا.

(٤) السابق ٣/١٢٦١ ــ رقم ٥ ــ ١٦٤٠ ــ بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا.

(٥) السابق ٣/١٢٦١ ــ رقم ٦ ــ ١٦٤٠ ــ بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا.

(٦) السابق ٣/١٢٦٢ ــ رقم ٧ ــ ١٦٤٠ ــ بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أو نحو ذلك، والنذر المعلَّق أو المشروط في حق الله تعالى منهي عنه؛ لأن النذر لا يغير من قدر الله شيئاً، وإنما ذلك استخراج من البخيل، (يَعْنِي: أَن من النَّاس من لَا يسمح من بِالصَّدَقَةِ وَالصَّوْم إلاَّ إِذا نذر شَيْئاً لخوف أَو طمع، فَكَأَنَّهُ لَو لم يكن ذَلِك الشَّيْء الَّذِي طمع فِيهِ أَو خافه لم يسمح بِإِخْرَاج مَا قدره الله تَعَالَى، مَا لم يكن يَفْعَله فَهُوَ بخيل).(١)

يلحظ في هذه الأحاديث الشريفة أن (الشحيح) ذُكر في الحديث الأول منها، وذلك في قوله ــ ﷺ ــ: (وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الشَّحِيحِ)، و(البخيل) ذُكر في قوله ــ ﷺ ــ: (مِنَ البَخِيلِ) في باقي الأحاديث الأخرى، وقد سبق بيان الفرق بين الشح والبخل في صدر هذا البحث، ويلحظ هنا أن "الشحيح" هنا ذُكر أولاً، ثم ذُكر "البخيل" بعده أكثر من مرة؛ وذلك لأنه لمَّا كان الشح أعم من البخل، ذُكر الشحيح أولاً ثم ذُكر البخيل بعد ذلك فهو من ذِكر الخاص بعد العام، ويلحظ أن الشحيح والبخيل مَصْرِفُهُ الوحيد للصدقة هو النذر المعلَّق أو المُقَيَّد أو المشروط؛ ولذلك جاء أسلوب القصر بـ (إنما) في قوله ــ ﷺ ــ: (وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الشَّحِيحِ)، (وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ)، فالمقصور عليه بـ "إنما" هو المؤخر أي: قصر خروج صدقة البخيل على نذره، أو لا تخرج صدقة البخيل إلا من خلال نذره المشروط، والقصر بـ "إنما" يفيد قصر واختصاص صدقة البخيل على نذره المشروط، ونفي ما عدا ذلك؛ (لأنَّ "إنما" تأتي إثباتاً لما يُذْكَرُ بعدَها، ونَفْياً لِمَا سواهُ)(٢)، ويفيد أسلوب القصر هنا التعريض بتوبيخ فعل البخيل؛ لأنه ليس

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٢٣/ ٢٠٦، ٢٠٧.
(٢) دلائل الإعجاز للإمام/ عبد القاهر الجرجاني، ت الشيخ/ محمود شاكر ٣٢٨ ــ مطبعة المدني بالقاهرة ــ دار المدني بجدة ــ ط الثالثة ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.

الغرض من "إنما" معرفة خروج صدقة البخيل، ولا معرفة قِلَّة صدقته، ولكن الغرض توبيخ فعله، وقد بين الإمام عبد القاهر بأن أفضل مواضع "إنما" هو التعريض؛ لأنها فيه (أقوى ما تكونُ وأعْلَقَ ما ترى بالقلب، إذا كان لا يُراد بالكلامِ بعدَها نفْسُ معناه، ولكنَّ التعريضَ بأمرٍ هو مُقْتضاه)[١]، وكأن حال لسان الشحيح والبخيل يقول: يا ربي إنْ فَعَلْتَ لي كذا تصدقتُ بكذا، وإلا فلا، وهذا فيه سوء أدب مع المولى ــ ﷻ ــ ؛ ولذلك جاء النهي عن النذر هنا: (أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ــ ﷺ ــ يَوْمًا يَنْهَانَا عَنِ النَّذْرِ...)، (لَا تَنْذِرُوا، فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا...)، (أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّذْرِ...)، أي: النذر المعلَّق أو المشروط في حق الله تعالى؛ لأنه جاء على صورة المعاوضة للشيء الذي طلبه، وهي تَقْدَحُ في نِيَّةِ المُتَقَرِّب إلى الله تعالى، وشأن العبادة أن تكون خالصة لله تعالى، وهذا هو حال البخيل في اسْتِخْرَاجِ صدقته يُرِيدُ العِوَضَ العاجل، أو الزائد على ما اسْتُخْرِجَ منه، وقد يعتقد الجاهل أن النذر بهذه الصورة يُوَصِّلُهُ إلى مطلبه، وهذا الاعتقاد ــ كما قال صاحب فتح الباري ــ : (اعْتِقَادُ جَاهِلٍ يَظُنُّ أَنَّ النَّذْرَ يُوجِبُ حُصُولَ ذَلِكَ الغَرَضِ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَعَهُ ذَلِكَ الغَرَضَ لِأَجْلِ ذَلِكَ النَّذْرِ، وَإِلَيْهِمَا الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ ــ أَيْضًا ــ: "فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا"، وَالحَالَةُ الأُولَى تُقَارِبُ الكُفْرَ، وَالثَّانِيَةُ خَطَأٌ صَرِيحٌ قُلْتُ: بَلْ تَقْرُبُ مِنَ الكُفْرِ ــ أَيْضًا ــ، ثُمَّ نَقَلَ القُرْطُبِيُّ عَنِ العُلَمَاءِ حَمْلَ النَّهْيِ الوَارِدِ فِي الخَبَرِ عَلَى الكَرَاهَةِ، وَقَالَ: الَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّهُ عَلَى التَّحْرِيمِ فِي حَقِّ مَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الاعْتِقَادُ الفَاسِدُ فَيَكُونُ إِقْدَامُهُ عَلَى ذَلِكَ مُحَرَّمًا، وَالكَرَاهَةُ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ)[٢]،

---

(١) السابق ٣٥٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٥٧٩/١١ ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ ط ١٣٧٩هـ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعلى ذلك فإن النهي بهذا الأسلوب الإنشائي يفيد التحريم في حق الاعتقاد الفاسد، والكراهة في غيره.

والباء في قوله ــ ﷺ ــ: (وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ) للسببية، أي: أن النذر سبب في استخراج المال من البخيل؛ لأنه يعطي بواسطة النذر، أما غير البخيل فإنه يُعطي بلا واسطة، والقليل من البخيل كثير، فمن نالته صدقة البخيل فقد ظفر باغتنامها، و(دَمْعَةٌ مِنْ عَوْرَاءَ غَنِيمَةٌ بارِدَةٌ).(١)

والنذر جائز، وإنما المنهي عنه كونه مُعَلَّقًا أو مشروطًا؛ ولذلك جاء تعليل النهي بألفاظ متقاربة في المعنى، فقوله ــ ﷺ ــ: " إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا" أعم من قوله ــ ﷺ ــ: " النَّذْرُ لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا، وَلَا يُؤَخِّرُ"، وقوله: " فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا"، وقوله: "إِنَّهُ لَا يَرُدُّ مِنَ الْقَدَرِ"، وقوله: "إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَرِّبُ مِن ابْنِ آدَمَ شَيْئًا لَمْ يَكُنِ اللهُ قَدَّرَهُ لَهُ، وَلَكِنِ النَّذْرُ يُوَافِقُ القَدَرَ"، ويلحظ أن تعليل النهي جاء مؤكدًا بإسمية الجملة في قوله ــ ﷺ ــ: "النَّذْرُ لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا، وَلَا يُؤَخِّرُ"، ومؤكدًا بـ "إنَّ" وإسمية الجملة في باقي المواضع؛ ليفيد الدوام والاستمرار في عدم تغيير القدر؛ ولأن البخيل لا تطاوعه نفسه على الإنفاق إلا على سبيل المعاوضة، فجاء التأكيد ليبين خلاف ظن البخيل، ويؤكد ذلك الرواية التي جاءت بضمير المتكلم على سبيل الالتفات(٢) في قوله: "...أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ"، وهي رواية عن هَمَّامِ بْنِ

(١) أي من عينٍ عَوْرَاء، يضرب للبخيل يصلُ إليك منه القليل. مجمع الأمثال للميداني ١ /٢٧٠.

(٢) والالتفات: هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التكلم، والخطاب، والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. المطول للتفتازاني، ت د/ عبد الحميد هنداوي ٢٨٦، ٢٨٧ ــ لبنان ــ ط الثالثة ــ ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م بتصرف.

مُنَبِّهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ ﷺ ــ عَنِ النَّبِيِّ ــ ﷺ ــ قَالَ: "لاَ يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيءٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ، ولَكِنْ يُلْقِيهِ القَدَرُ وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ"(١)، وفائدة الالتفات ليس التفنن في أساليب الكلام، وإيقاظ السامع فحسب، ولكن هو شيء أعلى وأبلغ من ذلك، وهو تأكيد لبيان خلاف ظن البخيل، وتقبيح له، والتحذير من هذا الظن القبيح، ويلحظ أن الإلقاء نُسِبَ إلى "القدر" في قوله: " وَلَكِنْ يُلْقِيهِ الْقَدَرُ"، ونُسِبَ إلى "النذر" فِي رِوَايَةِ هَمَّامٍ: "وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ، وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ"(٢)، وفي رواية أبي داود: « وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ الْقَدَرَ قَدَّرْتُهُ، يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَخِيلِ يُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي مِنْ قَبْلُ»(٣)، أي: يلقيه النذر إلى القدر بحذف حرف الجر "إلى"، ويوضح ذلك رواية: "وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى القَدَرِ قَدْ قَدَّرَتَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ، فَيُؤْتِى عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِى عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ"(٤)، وذلك على سبيل المجاز؛ لأن النذر سبب في الإلقاء، وكأن النذر سُلِّطَ على الاستخراج من مال البخيل، ومن أهم ما يستفاد به من الحديث: الترغيب في الصدقة والنذر غير المعلق، والتحذير من النذر المعلق الذي يبني البخيل عليه ظنه القبيح وهو تغيير القدر.

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ٣٥٣/٩ ــ رقم ٦٦٠٩ ــ باب إِلْقَاءِ النَّذْرِ الْعَبْدَ إِلَى الْقَدَرِ ــ المطبعة الكبرى الأميرية ــ مصر ــ ط السابعة ١٣٢٣هـ.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر ٨٠/٩ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط الثانية ١٤١٥هـ.

(٣) سنن أبي داود، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد٢٣٢/٣ ــ رقم ٣٢٨٨ ــ بَابُ النَّهْيِ عَنِ النُّذُورِ ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت من دون تاريخ.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ت/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم ١٥٤/٦ ــ مكتبة الرشد ــ السعودية ــ الرياض ــ ط الثانية ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣ ـ أحاديث في مقام الأخذ من مال الزوج بالمعروف:

١ ــ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ــ ﷺ ــ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، لَا يُعْطِينِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِيَّ إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ــ ﷺ ــ: «خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ».(١)

المعنى العام للحديث: أن زوجة أبي سفيان ذهبت تشتكيه إلى رسول الله ــ ﷺ ــ، ووصفت زوجها بأنه شحيح؛ لأنه لا يعطيها ما يكفيها ويكفي بنيها من النفقة، وسألت رسول الله ــ ﷺ ــ هل عليها إثم في أن تأخذ من ماله بغير علمه؟ فقال لها رسول الله ــ ﷺ ــ: أن تأخذ من ماله ما يكفيها ويكفي أبناءها بالمعروف، أو (خذي من مَال أبي سُفْيَان بِمَا يتعارفه النَّاس بِالْإِنْفَاق فِي مثلك وَفِي مثل أولادك).(٢)

في هذا الحديث وصفت هند زوجها بأنه "رجل شحيح"، ولم تقل بخيل؛ لأنه من قلة النفقة التي كان يعطيها لها صورت أن أبا سفيان يقتر عليها وعلى أولادها فكأنها وصفت حالها وحال أبنائها معه خاصة، ولم ترد وصفه بأن شحيح في كل أحواله، فكأنه كان يؤثر غير بيت أهله على عادة العرب في الإيثار للأجانب، وهذا لا يدل على بخله في كل أحواله كما نقل صاحب فتح الباري عن القرطبي في قوله: (الشُّحُّ: البُخْلُ مَعَ حِرْصٍ، وَالشُّحُّ أَعَمُّ مِنَ البُخْلِ؛ لِأَنَّ البُخْلَ يَخْتَصُّ بِمَنْعِ المَالِ، وَالشُّحُّ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقِيلَ: الشُّحُّ لَازِمٌ

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٣٣٨ ــ رقم ٧ ــ١٧١٤ ــ بَابُ قَضِيَّةِ هِنْدٍ، والجُنَاح: الإثم. لسان العرب (جنح).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٢٥/٢١.

كَالطَّبْعِ، وَالبُخْلُ غَيْرُ لَازِمٍ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: لَمْ تُرِدْ هِنْدٌ وَصْفَ أَبِي سُفْيَانَ بِالشُّحِّ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَإِنَّمَا وَصَفَتْ حَالَهَا مَعَهُ وَأَنَّهُ كَانَ يُقَتِّرُ عَلَيْهَا وَعَلَى أَوْلَادِهَا، وَهَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ البُخْلَ مُطْلَقًا فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الرُّؤَسَاءِ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَعَ أَهْلِهِ وَيُؤْثِرُ الْأَجَانِبَ اسْتِئْلَافًا لَهُمْ)[١]، ولكن يلحظ أن وصفه بالبخل وإن لم يرد صراحة في هذا الحديث فقد جاء كناية في روايتين أخريين، حيث وصفت هند زوجها مرة بأنه "رَجُلٌ مُمْسِكٌ"، ومرة بأنه "رَجُلٌ مِسِّيكٌ"[٢]، و"ممسك" و"مسيك" من الإمساك، والمسيك مبالغة في الإمساك، وهما كناية عن البخل، ففي رواية عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَاءَتْ هِنْدٌ إِلَى النَّبِيِّ ــ ﷺ ــ ...، ثُمَّ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مُمْسِكٌ، فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ أَنْ أُنْفِقَ عَلَى عِيَالِهِ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ــ ﷺ ــ: «لَا حَرَجَ عَلَيْكِ أَنْ تُنْفِقِي عَلَيْهِمْ بِالمَعْرُوفِ» [٣]، وفي رواية عن ابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَمِّهِ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَاءَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ...، ثُمَّ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ، فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ مِنْ أَنْ أُطْعِمَ مِنَ الَّذِي لَهُ عِيَالَنَا؟ فَقَالَ لَهَا: «لَا، إِلَّا بِالْمَعْرُوفِ»).[٤]

ويمكن الجمع بين هذه الأحاديث في وصف أبي سفيان مرة بأنه "شَحِيح"، ومرة بأنه "مُمْسِك"، ومرة بأنه "مِسِّيك" فقد تكون الفترة التي

---

(١) فتح الباري لابن حجر٩/٥٠٨.

(٢) مُمْسِك ومِسِّيك: بخيل. أساس البلاغة للزمخشري، ت/ محمد باسل عيون السود (مسك) ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(٣) صحيح مسلم ٣/ ١٣٣٩ ــ رقم ٨ ــ١٧١٤ ــ بَابُ قَضِيَّةِ هِنْدٍ، والحَرَج: الإثم. لسان العرب (حرج).

(٤) السابق ٣/ ١٣٣٩ ــ رقم ٩ ــ١٧١٤ ــ بَابُ قَضِيَّةِ هِنْدٍ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قضاها في حياته بعد دخوله الإسلام قد أثرت في طبعه؛ لأن طبيعة مَنْ يحاربون الإسلام الإسراف على أنفسهم وأهل بيتهم وإيثارهم على غيرهم، فلما دخل الإسلام، وأُشْرِبَ الإيمان في قلبه، كان عكس ذلك، حيث آثر فضل الإيثار، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩]؛ لأن الإنسان الذي يقتر على أهل بيته ويؤثر غيرهم لكونه يراهم أحوج للعطية من أهل بيته فهذا لا يدل على البخل، وإنما يدل على الإيثار الذي افتقدناه في عصرنا وحل محله (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَعُجْبُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ)[(١)]، فكأن زوجة أبي سفيان ظنت أن زوجها تغير طبعه فأصبح شحيحاً ممسكاً بعد أن كان مسرفاً بذخاً، (وَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى الْبُخْلِ مُطْلَقًا فَقَدْ يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ هَذَا مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ؛ لِأَنَّهُ يَرَى غَيْرَهُمْ أَحْوَجَ مِنْهُمْ، وَأَوْلَى لِيُعْطِيَ غَيْرَهُمْ، وَعَلَى هَذَا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ كَانَ بَخِيلًا فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا بِهَذَا).[(٢)]

(١) الحديث رواه ابن عباس ــ ﷺ ــ وفي رواية عن أنس ــ ﷺ ــ عَنْ رَسُولِ اللهِ ــ ﷺ ــ قَالَ: (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني ٣/ ٢١٩، ٢/ ٣٤٣ ــ السعادة ــ مصر ــ ط ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب لأبي الفضل العراقي ١٧٢/٧ ــ الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي من دون تاريخ، وينظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ٢٣١/١٠.

وفي قوله ــ ﷺ ــ: "خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالمَعْرُوفِ..." أسلوب إنشاء، فالفعل "خذي" أمر يراد به الإباحة، أي: إباحة أخذها من مال زوجها بالمعروف، وتصدير الجملة بفعل الأمر (خذي)؛ لبيان أهمية المقول بعده، مع سرعة المواجهة به، وحرف الجر "مِنْ" يفيد "التبعيض"(١)، ويؤيد ذلك التقييد بقوله: "بِالمَعْرُوفِ"، وفي قوله ــ ﷺ ــ: "مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ" تكرار الفعل "يكفيك ويكفي"، وهو تأكيد لفظي؛ ليؤكد جواز الإباحة من أخذها من مال زوجها هي وبنيها، وليمكن ذلك الأمر في نفسها حتى لا ينتابها شك في الأخذ لها ولبنيها، وهذا الشك يلحظ من الاستفهام عن سؤالها في الروايات الثلاثة: (فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟)، (فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ أَنْ أُنْفِقَ عَلَى عِيَالِهِ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ؟)، (فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ مِنْ أَنْ أُطْعِمَ مِنَ الَّذِي لَهُ عِيَالَنَا؟)، فجاء الجواب منه ــ ﷺ ــ بالتأكيد بتكرار الفعل "يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ" على جواز الإباحة لأخذها من مال زوجها؛ لأن (التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده)(٢)، وهذا التأكيد في جوابه ــ ﷺ ــ؛ جاء لإزالة استشعارها بالجُنَاح، أي الإثم في سؤالها: (فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟)، أما الروايتان اللتان استشعرت فيهما بالحَرَج، أي: الإثم في سؤالها: (فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ أَنْ أُنْفِقَ عَلَى عِيَالِهِ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ؟)، (فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ مِنْ أَنْ أُطْعِمَ مِنَ الَّذِي لَهُ عِيَالَنَا؟)، فقد جاء جوابه ــ ﷺ ــ نافياً للحَرَج في قوله: «لَا حَرَجَ عَلَيْكِ

(١) معاني الحروف للرماني، ت/ الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة ٨٧ ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي ٥٤/٢ ــ المكتبة العنصرية ــ بيروت ــ الأولى ١٤٢٣هـ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أَنْ تُنْفِقِي عَلَيْهِمْ بِالمَعْرُوفِ»، وقوله: «لَا، إِلَّا بِالمَعْرُوفِ»، ويلحظ القيد في قوله: "بِالمَعْرُوفِ" ثابت في الروايات الثلاثة؛ للتأكيد على جواز أخذها من مال زوجها بما يتعارفه الناس بالإنفاق على مثل حالتها وحالة بنيها، ومن أهم ما يستفاد به من الحديث: جواز أخذ المرأة من مال زوجها بغير علمه بما يكفيها هي وأبنائها بالمعروف.

٤ ـ أحاديث في مقام التحذير من الشح:

١ ــ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ــ ﷺ ــ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ».(١)

المعنى العام للحديث: حذرنا رسول الله ــ ﷺ ــ من الظلم والشح، وبين عاقبة كل منهما، فالظلم في الدنيا ظلمات يوم القيامة، والشح أهلك الأمم السابقة، حيث كان سبباً في سفك دمائهم، واستباحة محارمهم وأعراضهم.

في قول رسول الله ــ ﷺ ــ: "اتَّقُوا الظُّلْمَ" أسلوب إنشائي، فهو أمر الغرض منه التحذير من الظلم بأن نجتنبه ونجعل بيننا وبينه وقاية؛ لأن (الظُّلم وضع الشَّيْء فِي غير مَوْضِعه، والظُّلم يشْتَمل على معصيتين: أَخذ مَال الغَيْر بِغَيْر حق، ومبارزة الآمِر بِالعَدْلِ بالمخالفة، وَهَذِه أدهى؛ لِأَنَّهُ لَا يكَاد يَقع الظُّلم إلاَّ للضعيف الَّذِي لَا نَاصِر لَهُ غير الله، وَإِنَّمَا ينشأ من ظلمَة القلب؛ لِأَنَّهُ لَو استنار بِنور الهَدْي لنظر فِي العواقب)(٢)، ولما كان الظلم هو

(١) صحيح مسلم ١٩٩٦/٤ ــ رقم ٥٦ ــ ٢٥٧٨ ــ بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ .
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٩٣/١٢.

اعتداء على الغير بغير حق، صار بسببه يُورِّثُ على صاحبه ظلمة في قلبه تحجب عنه نور الهداية في الدنيا، ويصير إلى ظلمات في الآخرة، ولذا فإن قوله ــ ﷺ ــ: "فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" جملة تعليلية للجملة التي قبلها، أي: أن الظلم في الدنيا سبب لظلمات يوم القيامة، وعلى ذلك فالظلمات حقيقية، ويمكن أن يكون في قوله: "ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" كناية عن شدائد وأهوال ذلك اليوم، والكناية لا تمنع وجود المعنى الحقيقي مع المعنى الكنائي(١)، والكنايَة أبْلَغُ منَ التَّصريح؛ لأن المعنى بها أبلغ وآكَد وأَشَدّ(٢)، والظالم محجوب قلبه عن نور الهداية في الدنيا بسبب ظلمه، ولا يهتدي في الآخرة بسبب ظلمه، يوم يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم؛ لأنه سيلقى ما هو أشد وأدهى، وهي ظلمات يوم القيامة، فهو محجوب عن نور الهداية في الدنيا والآخرة، ولو علم الظالم بما أعده الله تعالى له، وبما أعده للمظلوم لضَنَّ وشَحَّ وبَخِلَ عليه بظلمه.

ويلحظ عطف "الشح" على الظلم في قوله ــ ﷺ ــ: "وَاتَّقُوا الشُّحَّ"، فهو ــ أيضاً ــ أسلوب إنشائي الغرض منه التحذير، وجاء عطف "الشح" على "الظلم"؛ لأنه من ذكر الخاص بعد العام، فالظلم أعم من الشح، والشح نوع من أنواع الظلم، إلا أنه أعظمها؛ ولذلك خص الشح بالذكر (تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّهُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ، فَإِنَّهُ مَنْشَأُ الْمَفَاسِدِ الْعَظِيمَةِ وَنَتِيجَةُ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا الذَّمِيمَةِ).(٣)

---

(١) الكناية: هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك. مفتاح العلوم للسكاكي، ت / نعيم زرزور ص ٤٠٢ ــ دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ــ ط الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) ينظر دلائل الإعجاز ٧١، وفي قوله ــ ﷺ ــ "الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ" جناس الاشتقاق؛ لأنهما يرجعان إلى أصل واحد، وجناس الاشتقاق هو : أن يجمع اللفظين الاشتقاق. بغية الإيضاح ٤/ ٧٥.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي القاري ٤/ ١٣٢١ ــ دار الفكر بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن أبرز هذه المفاسد سفك الدماء بقوة وسطوة [١]، واستباحة المحارم، وهما أخبث العواقب الوخيمة للشح؛ ولذلك خص ذكرهما في قوله ــ ﷺ ــ: "فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ"، وأما عطف استحلال المحارم على سفك الدماء في قوله ــ ﷺ ــ: "سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ" فهو من عطف العام على الخاص؛ لأن استحلال المحارم يشتمل على الظلم بأنواعه، فهو استحلال لكل ما حرم الله من فروج وأعراض وأموال وغير ذلك، والواو في قوله: "وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ" واو استئناف لعطف هذا المعنى على الذي قبله.

وقوله ــ ﷺ ــ: "وَاتَّقُوا الشُّحَّ" هي الجملة الأُمُّ أو المعنى الأم[٢] في الحديث الشريف، وقوله ــ ﷺ ــ: "اتَّقُوا الظُّلْمَ" جاء بمثابة التمهيد لذكر "الشح"، وهذا يبين مدى فظاعة قبح الشح، فهو أقبح أنواع الظلم، وعواقبه وخيمة على صاحبه، وعلى المجتمع حوله؛ ولذلك قال تعالى في موضعين

---

(١) السَّفْكُ في الدّم: صَبُّهُ، قال تعالى:﴿ وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة:٣٠]. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ت/ صفوان عدنان الداودي ٤١٣ ــ دار القلم ــ الدار الشامية ــ دمشق بيروت ــ ط الأولى ١٤١٢هـ، والسفك كما قال الحراني: سكب بسطوة، وقال القاضي: السفك والكسب والسبك والسفح والشن أنواع من الصب، فالسفك يقال: في الدم، والسكب: في الدمع، والسبك: في الجواهر المذابة، والسفح: في الصب من أعلى، والشن: في الصب من فم القربة. فيض القدير ١/١٣٤.

(٢) الجملة الأم في البيان هي الصورة اللفظية للمعنى الأم، وصاحب هذا المنهج شيخ البلاغيين د/ محمد أبو موسى. ينظر شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول د/ محمد أبو موسى ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١٧، ٣٥٤ ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط الثانية ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، وينظر آل حم غافر ــ فصلت دراسة في أسرار البيان د/ محمد أبو موسى ١٤ ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط الثانية ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ويمكن أن يقال: إن جملة: "اتقوا الظلم" هي الجملة الأم للحديث باعتبار أن الشح نوع من أنواع الظلم، ولكن العكس أبلغ؛ لأن الشح أقبح أنواع الظلم، فصار بذلك الظلم بباقي أنواعه فروع قبيحة.

من القرآن الكريم: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩، والتغابن: ١٦]، (ومَنْ اسْمُ شَرْطٍ وَهِيَ مِنْ صِيَغِ العُمُومِ: أَيْ كُلُّ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ، وَالعُمُومُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ "مَنْ" مُرَادٌ بِهَا جِنْسٌ لَا شَخْصٌ مُعَيَّنٌ وَلَا طَائِفَةٌ، وَهَذَا حُبٌّ اقْتَضَاهُ حِرْصُ أَكْثَرِ النَّاسِ عَلَى حِفْظِ المَالِ وَادِّخَارِهِ، وَالْإِقْلَالِ مِنْ نَفْعِ الغَيْرِ بِهِ، وَذَلِكَ الحِرْصُ يُسَمَّى الشُّحَّ)[١]، وخطر الشح في الأمم السابقة فيه عبرة لمن يخشى؛ لقوله ــ ﷺ ــ: "فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"؛ (وَذَلِكَ لأَنهم تشاحوا على الْملك وَالمَال والرئاسة، واقتتلوا فهلكوا)[٢]، وهذا هو المراد بالشح هنا، فهو أخذ حق الغير ظلمًا، وقد أكد وقوع ذلك بـ "إنَّ"، وإسمية الجملة، وبمجيء الفعل الماضي "أَهْلَكَ"، ولم يقل ــ ﷺ ــ في معرض حديثه عن الظلم: فإن الظلم قد أهلك من كان قبلكم؛ تنبيهًا على أن عواقب الشح الوخيمة يُعَجَّلُ بها، ويَظْهَرُ أثرها في الدنيا قبل الآخرة، مع أن الشح نوع من أنواع الظلم.

وآثر ــ ﷺ ــ التعبير بالشح في قوله: "وَاتَّقُوا الشُّحَّ"، ولم يقل مثلا: واتقوا البخل؛ لأن الشح أعم من البخل، وأبلغ في القبح من البخل؛ ولأن الشُّح (بِمَنْزِلَة الجِنْس، وَالبخل بِمَنْزِلَة النَّوْع، وَأَكْثر مَا يُقَال فِي البُخْل إِنَّه من أَفْرَاد الْأُمُور وخواص الأَشْيَاء، وَالشح عَام، فَهُوَ كالوصف اللَّازِم للْإِنْسَان من قبل الطَّبْع والجبلة..، وَقَالَ بَعضهم: البُخْل: أَن يضن بِمَالِه، وَالشح: أَن يبخل بِمَالِه ومعروفه)[٣]، (فالبخل مطلق المنع، والشح المنع مع ظلم، وعطف الشح الذي هو نوع من أنواع الظلم اشعارًا بأن الشح أعظم أنواعه؛

(١) التحرير والتنوير للعلامة /الطاهر بن عاشور ٢٨/ ٢٨٩ ــ الدار التونسية للنشر ــ تونس ــ ١٩٨٤هـ .
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٣/٧٠.
(٣) السابق ٣/٦٩، ٧٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لأنه من نتائج حب الدنيا ولذاتها، ومن ثَمَّ وجهه بقوله: "فإن الشح أهلك من كان قبلكم..."، قال بعض العارفين: الشح مسابقة قدر الله، ومن سابق قدر الله سبق، ومغالبة لله، ومن غالب الحق غلب؛ وذلك لأن الحريص يريد أن ينال ما لم يقدر له فعقوبته في الدنيا الحرمان، وفي الآخرة الخسران)[١]، وهذا يؤكد على أن عواقب الشح الوخيمة يُعَجَّلُ بها، ويَظْهَرُ أثرها في الدنيا قبل الآخرة، ومن أهم ما يستفاد به من الحديث: التحذير من الظلم بكل أنواعه، لا سيما الشح؛ لأن الشح داؤه قديم، وبلاؤه وخيم.

٢ ــ عَنِ أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ ﷺ ــ : «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ».[٢]

المعنى العام للحديث: بَيَّنَ رسول الله ــ ﷺ ــ من علامات يوم القيامة تقارب الزمان من يوم القيامة فتُنزع البركة من كل شيء، ويُترك العلم، ويَظهر الجهل والفسق، ويَقل الدين في قلوب الناس فلا يُؤمر بمعروف، ولا يُنهى عن منكر، ويُقبض العلم بقبض العلماء، وتَظهر الفتن الظاهرة والباطنة، ويُوضع في قلوبهم الشح فينتشر البخل، (ويكثر قتل الناس بعضهم لبعض ظلماً وعدواناً؛ لمجرد هوى النفس، وإشباع رغباتها الخبيثة، أو استجابة لبعض الأفكار والآراء الهدامة التي تخدم أعداءهم، وهم لا يشعرون).[٣]

---

(١) فيض القدير ١/١٣٤.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٧ــ رقم ١١ــ ١٥٧ــ بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ .

(٣) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم، راجعه الشيخ/ عبد القادر الأرناؤوط ٥/ ٣٥٣ ــ مكتبة دار البيان، دمشق ــ الجمهورية العربية السورية، ومكتبة المؤيد، الطائف ــ المملكة العربية السعودية ــ ط ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

وقد روي هذا الحديث الشريف برواية أخرى عن أبي هريرة ــ ﷺ ــ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ــ ﷺ ــ: (يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، ويَنْقُصُ العَمَلُ، ويُلْقَى الشُّحُّ، ويَكْثُرُ الهَرْجُ قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ؟ قَالَ: القَتْلُ القَتْلُ)(١)، والفرق بين الروايتين، أن هذه الرواية تزيد جملة: "ويَنْقُصُ العَمَلُ"(٢)، ونقص العمل يكون بنقص الطاعة والأعمال الصالحة، أو نقص العمل الحسي والمعنوي: و(نقص العَمَل الحسي ينشأ عَن نقص الدّين ضَرُورَة، وَأما المَعْنَوِيّ فسببه مَا يدْخل من الخلَل بِسَبَب سوء المطعم، وَقلَّة المساعد على العَمَل، وَالنَّفس ميالة إِلَى الرَّاحَة، وَتَحِنُّ إِلَى جِنْسِهَا، ولِكَثْرَةِ شَيَاطِينِ الإِنْسِ الَّذِينَ هُمْ أَضَرُّ مِنْ شَيَاطِينِ الجِنِّ)(٣)، وإيثار الفعل المضارع "ينقص"؛ استحضارًا لصورة التقصير والتفريط في جنب الله، وكأن الناس في عصر جاهلية لا تأتمر بمعروف، ولا تنتهي عن منكر.

ويلحظ في قوله ــ ﷺ ــ: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ"، أي: تسارع الزمان بسرعة لم يعهدها الناس من قبل، فيَقِلّ زمن السنة والشهر والأسبوع واليوم والساعة، أي: (يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ حَتَّى تَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالجُمُعَةِ، وَالجُمُعَةُ كَاليَوْمِ، وَاليَوْمُ كَالسَّاعَةِ)(٤)، وقيل: (تَقَارُبَ الزَّمَانِ نَفْسِهِ فِي الشَّرِّ

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٣/ ١٢٠ ــ رقم ٦٠٣٧ ـــ بابُ حُسْنِ الخُلُقِ والسَّخاءِ وَمَا يُكْرَهُ منَ البُخْلِ.

(٢) ونقص العمل نتيجة لنقص العلم؛ لقطع صلة الرحم التي بينهما، (والعلم والعمل أخوان في اللفظ والمعنى، فالعلم من غير عمل يستعاذ بالله منه، والعمل من غير علم يرشد إلى صوابه وخطئه عملٌ عشوائي). شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأول د/ محمد أبو موسى ٢/ ٩٤٥ ــ مكتبة وهبة بالقاهرة ــ ط الأولى ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١٣/١٧.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٧/ ٢٩١٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حَتَّى يُشْبِهَ أَوَّلُهُ آخِرَهُ، وَقِيلَ: بِقِصَرِ أَعْمَارِ أَهْلِهِ...، وَقَالَ القَاضِي: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ لَهُ أَنْ يَتَسَارَعَ الدِّوَلُ إِلَى الِانْقِضَاءِ، وَالقُرُونُ إِلَى الِانْقِرَاضِ، فَيَتَقَارَبُ زَمَانُهُمْ وَيَتَدَانَى إِبَّانُهُمْ)[١]، وكل هذه المعاني تدل أن ذلك كناية عن قصر الأعمار وقلة بركتها، أو كناية عن قلة بركة الزمان بسبب كثرة انتشار الشر، وتقارب الناس بعضهم من بعص في المعاصي، ويمكن أن يكون تقارب الزمان كناية عن تقارب المكان، وقلة قطع المسافات البعيدة في وسائل الاتصالات والمواصلات، فالمسافات التي كانت تقطع في شهور أو أيام صارت تقطع في ساعات معدودة في المواصلات، ودقائق وثواني في الاتصالات، ويمكن الجمع بين الكنايتين الأخيرتين، فتقارب الزمان كناية عن قلة بركة الزمان، وفي الوقت نفسه كناية عن تقارب المكان، فالكناية جمعت بين الزمان والمكان في القلة، لكن قلة البركة في الزمان مذمومة، وتقارب المكان في قلة قطع المسافات البعيدة محمودة في وسائل الاتصالات والمواصلات، وهي ليست محمودة على الإطلاق، فالمواصلات قد يعتريها سلبياتها في بعض الحوادث، وأما الاتصالات فهي سلاح ذو حدين، ويحتمل إسناد التقارب إلى "الزمان" مجاز عقلي[٢] علاقته "المعمولية"؛ لأن الله هو الذي يقارب الزمان، والسر في ذلك تهويل شأن تقارب الزمان حتى لكأنه يسعى ويقترب نحوهم من تلقاء نفسه لينتقم منهم، وهم غافلون، ومثله إسناد الإيتاء إلى "الساعة" في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۖ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد:١٨]، (وفي إسناد الإيتاء إلى

(١) السابق ٨ /٣٣٧٨.

(٢) المجاز العقلي: هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه؛ لضرب من التأول، إفادة للخلاف، لا بواسطة وضع. بغية الإيضاح ١/٥٧.

"الساعة" مجاز عقلي علاقته "المعمولية"؛ لأن الله هو الذي يأتيهم الساعة، وسره تهويل أمر الساعة حتى لكأنها تسعى نحوهم من تلقاء نفسها لتثأر منهم)[١]، وإيثار الفعل "يتقارب"؛ لاستحضار صورة تقارب الزمان، وكأنها تقترب منك، وتراها بعينيك الآن.

وفي قوله ــ ﷺ ــ: "وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ"، وفي رواية: "وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ"[٢]، وفي رواية: "يُرْفَعَ الْعِلْمُ"[٣]، وفي رواية: " أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ "[٤]، والروايات الأربعة تعني قبض العلم أو نقصه أو رفعه أو قِلته بقبض العلماء، لأن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً، ولكن يقبضه بقبض العلماء، كما روي عن عَبْد الله بن عَمْرِو بْنِ العَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ــ ﷺ ــ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم د/ عبد العظيم المطعني ١٢٦/٤ ـــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط الثالثة ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.

(٢) روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ ﷺ ــ عَنِ النَّبِيِّ ــ ﷺ ــ: قَالَ: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العِلْمُ..." صحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٧ ــ رقم ١٥٧ ــ بَابُ رَفْعِ العِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الجَهْلِ وَالفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

(٣) روي عن أنس بْنِ مَالِكٍ ــ ﷺ ــ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ ﷺ ــ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا». السابق ٤/ ٢٠٥٦ ــ ٨ ــ ٢٦٧١ ــ بَابُ رَفْعِ العِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الجَهْلِ وَالفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

(٤) روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ــ ﷺ ــ قَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لاَ يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ــ ﷺ ــ يَقُولُ: " مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ ". صحيح البخاري ١/ ٢٧ ــ رقم ٨١ ــ بَابُ رَفْعِ العِلْمِ وَظُهُورِ الجَهْلِ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رؤوسا جُهَّالــًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١]، وقبض العلم أو نقصه أو رفعه أو قلته يترتب عليه ظهور الجهل وانتشاره؛ ولذلك ورد التأكيد على ذلك في الرواية السابقة: "يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ"، وفي رواية: "يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَثْبُتَ الجَهْلُ"[٢]، (وَظُهُور الْجَهْل من لَوَازِم قبض العلم، وَذكره لزِيَادَة الْإِيضَاح والتأكيد)[٣]، وقد سبق توجيه رواية: "وينْقُصُ العَمَلُ"، وإيثار الأفعال المضارعة (يقبض ــ ينقص ــ يرفع ــ يقل) في جانب العلم لاستحضار صورة قبض العلم ونقصه ورفعه وقِلته، وكأنك تراه أمامك وهو يحتضر، وإيثار (يظهر ــ يثبت) في جانب الجهل؛ لاستحضار صورة الجهل البشعة وهي تظهر وتنتشر وتُغَيِّبُ الناس عن وعيهم.

وفي قوله ــ ﷺ ــ: "وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ"، جمع الفتن؛ دلالة على كثرتها واشتهارها، سواء أكانت فتن ظاهرة أم باطنة، فتن شهوات أو شبهات، وكلها مرتع لشياطين الإنس والجن يخوضون فيها، وهي شبكة سهلة لهم لاصطياد الناس بها، ويترتب على ظهور الفتن وضروبها ظهور الابتلاءات والمِحَن، وإيثار الفعل المضارع (تظهر)؛ لاستحضار صورة الفتن البشعة وهي وكأنها تروادهم عن أنفسهم الآن.

---

(١) السابق ٤/ ٢٠٥٨ ــ رقم ١٣ ــ ٢٦٧٣ ــ بَابُ رَفْعِ العِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الجَهْلِ وَالفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

(٢) روي عن أَنَس بْن مَالِكٍ ــ رضي الله عنه ــ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ ﷺ ــ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا». صحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٦ ــ ٨ ــ ٢٦٧١ــ بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

(٣) عمدة القاري ٢/ ٩٢.

وفي قوله ــ ﷺ ــ: "وَيُلْقَى الشُّحُّ" عبر بقوله: "الشح" ولم يقل: ويلقى البخل؛ لأن الشح أعم من البخل، فالشح بخل مع حرص، والشح من طبع النفس إلا من حَفِظَهُ الله، وذلك يدل على مدى الأنانية التي تحمل الإنسان على أخذ ما ليس له، ومنع ما يجب عليه من حقوق وواجبات، فيبخل العالم بنشر علمه، ويبخل الصانع بتعليم غيره صناعته، ويبخل الغني بزكاة ماله أو صدقته حتى يهلك الفقير، ويُؤخذ حق الغير ظلماً، (والشح خلق إذا نزل منزله من نفس صاحبه أقام من نفسه حارساً يقظاً على كل حاسة من حواسه الباطنة، والظاهرة حتى لا يجد فيه واجد مصطنعاً، ولا يظفر منه معتصر ببلة، فيضن بعلمه، كما يضن بماله، ويقبض لسانه عن النطق، كما يقبض يده عن الإنفاق، ويصرد[1] عطاءه تصريدًا ليستديم به حاجة الناس إليه، كما يجيع كلبه ليتبعه، ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين، على العجزة والجاهلين، والمحتالين والكاذبين، والأشحاء والباخلين)[2]، ولا يقتصر كون الشح على أنه "يُلْقَى"، أي: يوضع في قلوب الناس، بل "ويُتَلَقَّى" بِفَتْحِ اللَّامِ وَتَشْدِيدِ الْقَافِ، أَي: يُتَعَلَّمُ وَيُتَوَاصَى بِهِ بين الناس، قال صاحب فتح الباري: (يُتَلَقَّى وَيُتَعَلَّمُ وَيُتَوَاصَى بِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠]، قَالَ الحُمَيْدِيُّ: وَالرِّوَايَةُ بِسُكُونِ اللَّامِ مُخَفَّفًا تُفْسِدُ المَعْنَى؛ لِأَنَّ الإِلْقَاءَ بِمَعْنَى التَّرْكِ، وَلَوْ تُرِكَ لَمْ يكن مَوْجُودًا وَكَانَ مدحاً، والحَدِيث ينبئ بِالذَّمِّ، قُلْتُ: وَلَيْسَ المُرَادُ بِالإِلْقَاءِ هُنَا أَنَّ النَّاسَ يُلْقُونَهُ، وَإِنَّمَا المُرَادُ أَنَّهُ يُلْقَى إِلَيْهِمْ، أَيْ: يُوقَعُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمِنْهُ: ﴿ إِنِّيٓ أُلْقِيَ

(١) التَّصْرِيدُ فِي العَطَاءِ: تَقْلِيله. لسان العرب (صرد).

(٢) النظرات للمنفلوطي ١/١٥ ــ دار الآفاق الجديدة ــ ط الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل:٢٩]، قال الحميدي: وَلَوْ قِيلَ بِالْفَاءِ مَعَ التَّخْفِيفِ لَمْ يَسْتَقِمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا، قُلْتُ: لَوْ ثَبَتَتِ الرِّوَايَةُ بِالْفَاءِ لَكَانَ مُسْتَقِيمًا، وَالمَعْنَى أَنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرًا مُسْتَفِيضًا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ)(١)، وإيثار الفعل "يُلْقَى"؛ لاستحضار صورة الشح المذمومة وهي تُلْقَى وتوقع في قلوب الناس، وكأنك تراهم مغلولة أيديهم إلى أعناقهم من شدة البخل.

وفي قوله ــ ﷺ ــ: "وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ"(٢)، إيثار الفعل "يكثر"؛ لاستحضار صورة كثرة القتل البشعة، وكأن الدماء تسيل أمامك الآن، وفي قوله: "وَمَا الْهَرْجُ؟" أسلوب إنشائي، وهو استفهام حقيقي؛ لأن السائل يجهل معنى الهرج، فهو طلب لفهم معناه، والمقام مقام تحذير وترهيب يقتضي فهم حقيقة معناه، وجاء الجواب الشافي من رسول الله ــ ﷺ ــ فهو أهل للسؤال، وأهل للإجابة ــ بقوله: "القتل"، وجاء إفراد لفظ "القتل"؛ للدلالة على التعظيم، وفي رواية: (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّمَ هُوَ(٣)؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ»)(٤)، حيث جاء الجواب منه ــ ﷺ ــ بتكرار لفظ "القتل" مرتين؛ للتأكيد على تعظيم القتل في نفوس المخاطبين، و(التأكيد تمكين الشيء في النفس

(١) فتح الباري لابن حجر١٣/ ١٧، ١٨.
(٢) الهَرْج: الْقِتَالُ وَالِاخْتِلَاطُ. لسان العرب (هرج).
(٣) وأيم، بِفَتْح الهمزَة وَتَشْدِيد اليَاء آخر الْحُرُوف وَضم المِيم، وَأَصله: أَيّمَا، أَي: أَي شَيْء الْهَرج؟...، وَضَبطه بَعضهم بتَخْفِيف اليَاء، كَمَا قَالُوا: أيش، فِي مَوضِع أَي شَيْء. عمدة القاري ٢٤/ ١٨٣.
(٤) روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ ﷺ ــ عَنِ النَّبِيِّ ــ ﷺ ــ قَالَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّمَ هُوَ؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ». صحيح البخاري ٩/ ٤٨ ــ رقم ٧٠٦١ ــ بَابُ ظُهُورِ الفِتَنِ.

وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده)[١]، وهذا التأكيد في جوابه ــ ﷺ ــ؛ جاء لإزالة استشعارهم التهاون في القتل، وفي رواية: (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: «هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا [٢]، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ)[٣]، والإشارة تقوم مقام العبارة، وهذا من إِطْلَاق القَوْل على الفِعْل، وهو مجاز عقلي، وكثرة القتل نتيجة حتمية لظهور الشح؛ لحرص الأغنياء على منع البذل والإنفاق على الفقراء، وقد سبق بيان ذلك في قوله ــ ﷺ ــ: (وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ)[٤]، والألف واللام للعهد في لفظ "الهرج"؛ للدلالة على أن هذا القتل ممزوج بالفتنة والاختلاط، وهذا يدل على أن "كثرة الهرج" من "الفتن"، فكأنه من عطف الخاص على العام، وإذا كان قتل نفس بغير نفس يعادل عند الله نفوس الناس جميعاً، لقوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]،

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي ٢/٥٤.

(٢) قوله ــ ﷺ ــ: ("فَحَرَّفَهَا" من التحريف، تَفْسِير لقَوْله: "فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ" أي: كَأَنَّهُ يضْرب عنق الإِنْسَان، وكَأَن الرَّاوِي فهم من تَحْرِيك اليَد وتحريفها أَنه يُرِيد القَتْل، وكَأَن الرَّاوِي بَين أَن الإِيمَاء كَانَ محرفاً، ومثل هَذِه الفَاء تسمى الفَاء التفسيرية نَحْو: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة:٥٤]، إِذْ القَتْل هُوَ نفس التَّوْبَة على أحد التفاسير). عمدة القاري ٢/ ٩٢ بتصرف.

(٣) روي عنْ سَالِمٍ ــ ﷺ ــ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ــ ﷺ ــ عَنِ النَّبِيِّ ــ ﷺ ــ قَالَ: «يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ»: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: «هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ». صحيح البخاري ١/ ٢٨ ــ رقم ٥٨ ــ بَابُ مَنْ أَجَابَ الفُتْيَا بِإِشَارَةِ اليَدِ وَالرَّأْسِ.

(٤) صحيح مسلم ٤/١٩٩٦ ــ رقم ٥٦ ــ ٢٥٧٨ ــ بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فكيف بكثرة القتل بغير حق؟، وفي ذلك إيماء بمسئولية المجتمعات (مسئولية متضامنة عن إزهاق الأنفس بغير حق، فإذا ما تراخت في الضرب على أيدي سفاكي الدماء، ومنعهم من العدوان على الأنفس البريئة كان المجتمع كله شريكاً في القتل)[١]؛ ولذلك يكثر القتل حين تغيب المَعْدَلَةُ والنَّصَفَة، ومن أهم ما يستفاد من الحديث: التحذير من قرب أشراط الساعة، والحث على طلب العلم وتعليمه للآخرين، والبعد عن الفتن ما ظهر منها وما بطن، وتجنب الشح المؤدي إلى سفك الدماء، وانتهاك الحرمات، وتعظيم حرمة القتل بغير حق.

(١) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن د/ محمد الأمين الخضري ٨٠ ــ مطبعة الحسين الإسلامية ــ خلف الجامع الأزهر ــ ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

المبحث الثاني : أحاديث البخل

١ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رضي الله عنه ــ عَنِ النَّبِيِّ ــ ﷺ ــ قَالَ: ("مَثَلُ المُنْفِقِ وَالمُتَصَدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ عَلَيْهِ جُبَّتَانِ[١] أَوْ جُنَّتَانِ[٢]، مِنْ لَدُنْ[٣] ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا[٤]، فَإِذَا أَرَادَ الْمُنْفِقُ ـــ وَقَالَ الْآخَرُ: فَإِذَا أَرَادَ الْمُتَصَدِّقُ ـــ أَنْ يَتَصَدَّقَ سَبَغَتْ[٥] عَلَيْهِ أَوْ مَرَّتْ، وَإِذَا أَرَادَ البَخِيلُ أَنْ يُنْفِقَ، قَلَصَتْ[٦] عَلَيْهِ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَوْضِعَهَا، حَتَّى تُجِنَّ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ" قَالَ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ: «يُوَسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ»).[٧]

المعنى العام للحديث: أن الرسول الله ــ ﷺ ــ ضرب مثلاً للمنفق والبخيل، وبين أن المنفق إذا همَّ بالصدقة طاوعته يداه بالإنفاق، وانشرح بها صدره، وأن البخيل إذا همَّ بالصدقة انقبضت يداه، وضاق بها صدره؛ لأن (السَّخِيَّ إِذَا هَمَّ بِخَيْرٍ سَهُلَ عَلَيْهِ، وَالبَخِيلُ عَكْسُهُ).[٨]

---

(١) الجُبَّةُ: مِنْ أَسْماء الدِّرْع، وَجَمْعُهَا جُبَبٌ. لسان العرب (جبب).

(٢) جُنَّتَان: أي وِقايَتانِ، والجُنَّةُ: الوِقايةُ. السابق (جنن)، والجنة في الأصل الحصن، وسميت بها الدرع؛ لأنها تجن صاحبها، أي: تحصنه. شرح القسطلاني ٣/ ٣٨.

(٣) لَدُنْ؛ ظَرْفُ مَكَانٍ بِمَعْنَى عِنْدَ إِلا أَنه أَقرب مَكَانًا مِنْ عِنْدَ وأَخصُّ مِنْهُ، فإِن عِنْدَ تَقَعُ عَلَى المَكَانِ وَغَيْرِهِ، تَقُولُ: لِي عِنْدَ فلانٍ مَالٌ، أَي: فِي ذِمَّتِهِ، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي لَدُنْ. السابق (لدن).

(٤) التَّرْقُوَتَانِ: العَظْمَانِ المُشْرِفان بَيْنَ ثُغْرة النحْر والعاتِق. السابق (ترق).

(٥) سَبَغَ الشيءُ يَسْبُغُ سُبُوغًا: طالَ إِلَى الأَرض واتَّسَعَ...، وسَبَغَتِ الدِّرْعُ، وكلُّ شيءٍ طالَ إِلَى الأَرض، فَهُوَ سابِغٌ. وَقَدْ أَسْبَغَ فُلَانٌ ثَوْبَه أي: أَوسَعَه. السابق (سبغ).

(٦) قَلَصَ الْقَافُ وَاللَّامُ وَالصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْضِمَامِ شَيْءٍ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ. يُقَالُ: تَقَلَّصَ الشَّيْءُ، إِذَا انْضَمَّ. مقاييس اللغة لابن فارس، ت/ عبد السلام محمد هارون (قلص) ــ دار الفكر ــ ط ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ٧٠٨ ــ رقم ٧٥ ــ ١٠٢١ ــ بَابُ مَثَلِ الْمُنْفِقِ وَالْبَخِيلِ.

(٨) مرقاة المفاتيح ٤/ ١٣٢٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهذا الحديث له رواية أخرى في البخاري عن أَبي هُرَيْرَةَ ــ رضي الله عنه ــ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ــ ﷺ ــ يَقُولُ: «مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَتَّسِعُ»[1]، ويلحظ في الحديثين الشريفين أنهما جاءا على طريق التمثيل، في قوله ــ ﷺ ــ: "مَثَلُ المُنْفِقِ وَالمُتَصَدِّقِ"، وفي قوله: "مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ"؛ للتشويق وتهيئة المخاطبين لتلقي المعنى، (إذ يشوق ــ ﷺ ــ بضرب الأمثال التي تمكن المعاني في النفوس عندما تقف عليها بعد أن تكون قد نبهت بالمثل وهيئت للتلقي)[2]، ومن ذلك حال المنفق والبخيل، فهما وإن كانا مشاهدين للناس، لكن المعاني القلبية بينهما محتجبة بين الأستار، وتحتاج إلى ما يقربها إلى الأفهام، فالتشبيه بينهما هنا قائم على الجمع بين شيئين متباعدين ومتضادين؛ ليحدث بينهما تلاقيًا وتعانقًا، عن طريق التشبيه التمثيلي والمقابلة في المعنى، فتنجلي المعاني المحتجبة بين الأستار، وتنكشف الصورة للأفهام، فالنبي ــ ﷺ ــ صور حال البخيل القابض على الأموال، المحبوسة نفسه عن الإحسان، القصيرة يداه عن الإنفاق في البر والخير، مع ضيق صدره، وقلة فرحه، وكثرة حزنه، (فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها، وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة من حلقها موضعها، وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقي قلبه في سجنه كما هو،

(١) صحيح البخاري ٢/ ١١٥ ــ رقم ١٤٤٣ ــ بَابُ مَثَلِ المُتَصَدِّقِ وَالبَخِيلِ.
(٢) التشويق في الحديث النبوي ١٢٣.

والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره)[١]، فحال البخيل وحال تعلق نفسه بالإمساك على المال كحال رجل عليه جبة من حديد غلت يداه إلى عنقه، وأطبقت على صدره فأعجزته عن الحركة، وشلت حركته تماماً، ووجه الشبه هو الهيئة المكونة من ضيق النفس والصدر، والحرمان من السعة والانشراح، وأما المنفق فحاله وحال نفسه عند التصدق، وما يعتريه من انشراح صدره وبسط يده، كحال رجل اعتلت صدره جبة من حديد فاتسعت عليه حتى أخفت بدنه وأثره، ووجه الشبه هو الهيئة المكونة من اتساع النفس والصدر، والسعة والستر، وحمل التشبيه في الحديث على أنه من التشبيه التمثيلي أفضل من حمله على التشبيه المتعدد الملفوف[٢]،على أنه شُبه طرفان وهما المنفق والبخيل، بطرفين هما رجلين عليهما جبتان من حديد، أو (شبه السخي إِذا قصد التَّصَدُّق يسهل عَلَيْهِ بِمن عَلَيْهِ الْجُبَّة وَيَده تحتهَا، فَإِذا أَرَادَ أَن يُخرجهَا مِنْهَا يسهل عَلَيْهِ، والبخيل على عَكسه، والأسلوب من التَّشْبِيه المفرق)[٣]؛ حتى لا تتقطع الصورة بتجزئتها إلى صور متعددة فيقل رواؤها ورونقها وأُنْسها؛ ولأن (التمثيل بالمشاهدة يزيدك أُنْساً) كما ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني[٤] ، ولأن المراد من الحديث ضرب المثل بحال المنفق

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، ت/ سيد إبراهيم ٣٣ ــ دار الحديث ــ القاهرة ــ ط الثالثة ١٩٩٩م.

(٢) التشبيه المتعدد الملفوف هو: ما أتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما. بغية الإيضاح ٣/ ٤٢٨.

(٣) عمدة القاري ٨/ ٣٠٩.

(٤) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، ت الشيخ / محمود شاكر ١٢٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المتصدق الذي شرح صدره بالإنفاق والتصدق، وزكى نفسه ووقاها شر الشح فكان من المفلحين، وفي ذلك ترغيب في الإنفاق والتصدق، وفي المقابل حال البخيل الممسك الذي ضاق صدره ودنسها بالشح والبخل فكان من الخاسرين، وفي ذلك ترهيب وتنفير من الشح والبخل، وقد بين الإمام عبد القاهر فضل التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني(١)، وبَيَّنَ أثر صور التمثيل في المعنى نفسه، وفي نفس المتلقي، (وأن هذه الصور تنفذ إلى أقاصي الأفئدة، وتداخل سرائر القلوب، ويكون لها رنين في أقاصيها، وتحرك ما قر في قرار النفس، وتستثيره وتعطفه نحو المعنى).(٢)

ويلحظ في رواية مسلم أن صدر الحديث في قوله ـ ﷺ ـ: "مَثَلُ المُنْفِقِ وَالمُتَصَدِّقِ"، أنه حذف مقابله وهو "البخيل" وذلك؛ لدلالة السِّيَاق عَلَيْهِ، أو جاء على الاكتفاء(٣) بحذف أحد الضدين؛ لدلالة الآخر عليه، فحذف البخيل؛ لدلالة المنفق والمتصدق عليه، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل:٨١]، أي: سرابيل تقيكم الحَرَّ والبرد، فحذف لفظ: "البرد"؛ للدلالة عليه بلفظ: "الحَرَّ"، ويلحظ في الحديثين أنهما صدرا بالجملة الأم في قوله ـ ﷺ ـ: "مَثَلُ المُنْفِقِ وَالمُتَصَدِّقِ"، وقوله: "مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ"، ثم بُنِيَ الكلام عليهما، حيث

(١) السابق ١١٥.

(٢) ينظر: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني د/ محمد أبو موسى ٣٨٦ ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ـ ط الثانية ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٣) الاكتفاء: هو أن يقتضي المقام ذِكْرَ شيئَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلازُمٌ وارتباط ، فَيُكْتَفَى بأَحَدِهما عن الآخر لنكتةٍ بلاغيّة. البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ٤٨/٢ ـ دار القلم ـ دمشق ـ الدار الشامية ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(ترى المعنى فيه يبدأ بجملة هي جذرُه، ثم يأتي ما بعدها، وكأنه تفصيل لها، وتوسيع لدائرتها)[١]، و "أل" في "المنفق والبخيل" للجنس، فيندرج تحتهما كل منفق، وكل بخيل.

ويلحظ في رواية البخاري جاء تقديم ذكر البخيل على المنفق في قوله ــ ﷺ ــ: "مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ"، بينما أخر ذكره في تفصيل الحديث جارياً بذلك على أسلوب العكس والتبديل[٢]؛ وذلك لأن الغرض المستفاد من ضرب المثل هو الإثارة والتشويق، فصُدِّرَ البخيل مجملا، ثم أُخِّرَ في التفصيل؛ لأن المراد من المثل الترغيب في الإنفاق والتصدق، والترهيب من الشح والبخل، ومن ثَمَّ بدأ في التفصيل بذكر حال المنفق، وأخر حال البخيل.

وفي قوله ــ ﷺ ــ: "كَمَثَلِ رَجُلٍ عَلَيْهِ جُبَّتَانِ أَوْ جُنَّتَانِ " حرف "على" الذي يفيد "الاستعلاء"[٣] يفيد تمكن الجبتان أو الجنتان من لابسها، والتقييد بالحديد في رواية البخاري: "جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ" (إعلام بِأَن القَبْض والشدة جبلة الإِنْسَان)[٤]، والتعبير بالجبتين أو الجنتين هنا يمكن أن يكون كناية عن رزق الله ونعمه على المنفق، أو استعارة تصريحية أصلية، حيث شبه ــ ﷺ ــ رزق الله ونعمه على المنفق بالجبتين أو الجنتين، وفي قوله ــ ﷺ ــ: "مِنْ لَدُنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا" قيد في التشبيه، وتخصيص الصدر والتراقي

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري د/ محمد أبو موسى ٤٠٥.
(٢) العكس والتبديل: هو أن يقدم في الكلام جُزء ثم يؤخّر، أي: على ما قُدِّم عليه، ويقع على وجوه. ينظر بغية الإيضاح ٤/ ٢٣.
(٣) معاني الحروف للرماني ١٢٢.
(٤) عمدة القاري ٨/ ٣٠٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بالذكر؛ لاعتلاقهما بالإنفاق والتصدق انشراحاً واتساعاً لدى المنفق والمتصدق، وانقباضاً ومنعاً لدى البخيل.

وفي قوله ــ ﷺ ــ: "فَإِذَا أَرَادَ الْمُنْفِقُ ـــ وَقَالَ الْآخَرُ: فَإِذَا أَرَادَ الْمُتَصَدِّقُ ـــ أَنْ يَتَصَدَّقَ سَبَغَتْ عَلَيْهِ أَوْ مَرَّتْ"، وفي رواية البخاري: "فَأَمَّا الْمُنْفِقُ، فَلا يُنْفِقُ إِلا سَبَغَتْ، أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ" تفصيل صورة التمثيل، وهي إيضاح بعد إبهام، أو تفصيل بعد إجمال، والإيضاح بعد الإبهام من صور التشويق؛ لأن النفس تترقب التفصيل والإيضاح بعد الإبهام أو الإجمال، (والغرض منه أن يتأكد المعنى لدى السامع، وأن يقر بداخله؛ لأنه من الأمور المهمة التي تحتاج إلى تأكيد وتثبيت؛ ليشتد الحرص على امتثالها وإجابتها)[١]،(وبذلك يتمكن المعنى في نفسه غاية التمكن، مع ما فيه من لذة التشويق، حيث يرد عليه المعنى مبهماً، ثم يعاد عليه مفصلاً)[٢]، (والمَعْنَى أَنَّ الصَّدَقَةَ تَسْتُرُ خَطَايَاهُ كَمَا يُغَطِّي الثَّوْبُ الَّذِي يُجَرُّ عَلَى الْأَرْضِ أَثَرَ صَاحِبِهِ إِذَا مَشَى بِمُرُورِ الذَّيْلِ عليه)[٣]، وفي ذلك تشبيه حال الصدقة في محوها الخطايا والذنوب بالثوب الذي يجر على الأرض فيمحو أثر مشي صاحبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، وتزيد رواية البخاري بمجيئها عن طريق أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، (وهو الطريق الأم في الدلالة على القصر)[٤]، في قوله ــ ﷺ ــ:

(١) التشويق في الحديث النبوي ٥٦.
(٢) الواو ومواقعها في النظم القرآني د/ محمد الأمين الخضري٤٨٥ ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط الأولى ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥.
(٣) فتح الباري لابن حجر ٣/ ٣٠٦.
(٤) شرح أحاديث من صحيح مسلم د/ محمد أبو موسى ٢/ ٣١٩.

"فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلا يُنْفِقُ إِلا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ..."؛ للدلالة على مدى ارتباط الصلة بين المنفق ونفقته وإسباغ الدرع عليه، فكأنه كلما زاد إنفاقه وتصدقه زاد إسباغ الدرع عليه، وهذ فيه ما فيه من فرط الحفاوة والإكرام.

وفي قوله ــ ﷺ ــ: "وَإِذَا أَرَادَ البَخِيلُ أَنْ يُنْفِقَ، قَلَصَتْ عَلَيْهِ، وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَوْضِعَهَا، حَتَّى تُجِنَّ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ"، وفي رواية البخاري: "وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَتَّسِعُ" تشخيص لحال البخيل وحال نفسه وضيق صدره وانقباضه عن الإنفاق والتصدق، والمعنى أن (البخيل إذا أراد الإنفاق حرج به صدره، واشمأزت عنه نفسه، وانقبضت عنه يداه كالذي أراد أن يستجن بالدرع، وقد غلت يداه إلى عنقه فحال ما ابتلى به بينه وبين ما يبتغيه فلا يزيده لبسها إلا ثقلاً، ووبالاً والتزاماً في العنق والتواءً وأخذًا بالترقوة)[1]، وفي هذا المعنى مقابلة لحال المنفق السابق عليه، حيث إن المقابلة بين (الجواد إذا هم بِالصَّدَقَةِ، اِنْفَسَحَ بهَا صَدره، والبخيل إذا حدث نَفسه بِالصَّدَقَةِ ضَاقَ صَدره، وانقبضت يَده)[2]، وبضدها تتميز الأشياء، ويمكن أن تكون المقابلة بين المنفق والبخيل من ناحية أخرى (فإن المنفق يستره الله بنفقته من قرنه إلى قدمه، وجميع عوراته بالفعل في الدنيا، وبالأجر في الآخرة، فماله لا يشتد عليه، وأما البخيل فيظن أن ستره في إمساك ماله، فمالُه لا يمتد عليه فلا يستر من عوراته شيئاً حتى تبدو للناس فيبقى منكشفاً كمن يلبس جبة تبلغ إلى ثدييه، ولا تجاوز قلبه الذى يأمره بالإمساك، فهو يفتضح في

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦/ ٢٨٧.
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٣/ ٤٤٢، ٤٤٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الدنيا، ويؤزر في الآخرة)[١]، فانظر كيف تعانقت الصورة البديعية "المقابلة" مع الصورة البيانية "التمثيلة" وأخرجت هذه الصورة الفريدة، ولو لاها لما تَمَّ نظم المعنى، وتزيد رواية البخاري بمجيئها عن طريق أسلوب القصر بالنفي والاستثناء (وهو الطريق الأم في الدلالة على القصر)[٢] ، في قوله ــ ﷺ ــ: "وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا"؛ للدلالة على مدى ارتباط الصلة بين البخيل ونفقته وإسباغ الدرع عليه، فكأنه كلما نقص إنفاقه وتصدقه نقص إسباغ الدرع عليه، وهذا فيه ما فيه من الغرابة والإهانة.

وفي قول أبي هُرَيْرَةَ ــ رضي الله عنه ــ: «يُوَسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ» بيان لقوله ــ ﷺ ــ: " قَلَصَتْ عَلَيْهِ، وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَوْضِعَهَا، حَتَّى تُجِنَّ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ"، ويؤكد ذلك التفريع "بالفاء"؛ للتأكيد على قوة الربط بين المعنيين في رواية البخاري: "فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَتَّسِعُ"، وفي رواية: "وَيُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ إِلَى حَلْقِهِ"[٣]، وهي صورة حركية تهكمية مذمومة تشخص حال البخيل وحال نفسه وضيق صدره حتى تكاد روحه أن تنخلع إذا أراد أن ينفق شيئاً، وكأن البخيل الذي جَفَّتْ مشاعره بالإمساك يريد أن تتسع عليه النعم ببخله وشحه وخوفه نقص ماله فلا تتسع، ولا تستر عوراته كستر الجُبَّة لابسها، ويبقى مذموماً في الدنيا والآخرة، وذلك بخلاف المنفق الذي ارْتَوَتْ مشاعره بالإنفاق فهو مستور في الدنيا والآخرة، ومن أهم ما يستفاد من

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/٤٤١.
(٢) شرح أحاديث من صحيح مسلم د/ محمد أبو موسى ٢/ ٣١٩.
(٣) شرح القسطلاني ٨/ ١٦٩.

الحديث: الحث على التصدق والإنفاق في كل سبل الخير، ومدح الأسخياء، والتنفير من البخل، وذم البخلاء.

٢ ــ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ــ ﷺ ــ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»).(١)

المعنى العام للحديث: لقد استعاذ رسول الله ــ ﷺ ــ من أشياء أهمها العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، ومن علم لا ينفع ...إلخ، وعلمنا الاستعاذة منها؛ لأنها داء عضال في المجتمع، وأن اشتعال جذوة واحدة من هؤلاء في البشر كفيلة بعدم تقدم المجتمع قيد شبر، وأن عكس هذه الأشياء، وأن انطفاء جذوتها في البشر يجعل المجتمع في أرقى المجتمعات نهضةً وتَحَضُّرًا ورُقِيًّا.

وهذا الحديث له رواية أخرى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ــ ﷺ ــ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»(٢)، وفي رواية عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ــ ﷺ ــ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَالْكَسَلِ، وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا

(١) صحيح مسلم ٢٠٨٨/٤ ــ رقم ٧٣ ــ ٢٧٢٢ ــ بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ.

(٢) السابق ٢٠٧٩/٤ ــ رقم ٥٠ ــ ٢٧٠٦ ــ بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَغَيْرِهِ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَالْمَمَاتِ»[١]، ويلحظ في هذه الرواية أن قوله ــ ﷺ ــ: "وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ" تساوي معنى "الهَرَم" في الرواية السابقة، وسبب الاستعاذة منه؛ لأنه داء لا دواء له، وتزيد هذه الرواية بقوله ــ ﷺ ــ: "وَفِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ"، أي فتنة الحياة والموت، (وفتنة المحيا أَن يفتتن بالدنيا ويشتغل بهَا عَن الآخِرَة، وفتنة المَمَات أَن يخَاف عَلَيْهِ من سوء الخاتمة عِنْد المَوْت، وَعَذَاب القَبْر مِمَّا يعرض لَهُ عِنْد مساءلة الملكَيْنِ، ومشاهدة أَعماله السَّيئَة فِي أقبح الصُّور، أعاذنا الله مِنْهُ بمنه وكَرمه)[٢]، وسبب الاستعاذة من ذلك؛ أنه تعليم لأمته ــ ﷺ ــ.

ويلحظ في هذا الدعاء الذي جاء على لسان معلم الأمة وطبيبها الأول ــ ﷺ ــ أنه شَخَّصَ داءها، وبين دواءها، وأنها لن تنال العفو والعافية من هذه الرذائل والأوبئة إلا بهذا الدواء الناجع الذي وصفه رسول الله ــ ﷺ ــ، وبعض هذه الأوبئة بينها قرابة وصلة رحم، (فالعجز أخو الكسل، والجُبْن أخو البخل، والهرم أخو القبر، ثم إنك تجد قرابة ونسباً بين الأختين الأولتين والأختين الثانيتين؛ لأن العجز ضعف العزم والجبن من هذه السلالة وكذلك البخل، ولو قلت: إن الجبن والبخل مولودان من العجز والكسل لم تبعد، ثم إنك تجد الهرم وعذاب القبر ممسكاً بكل؛ لأن الهرم رسول المنية وطائرها ونذيرها وصائحها، وهذا ظاهر)[٣]، ويلحظ الدواء الناجع لهذه الرذائل والأوبئة أنه إذا تحلينا بعكسها سوف نكون من أفضل الأمم المتحضرة على حق، فإذا تحلينا بالحزم والعزم، والجد والنشاط، والشجاعة

(١) السابق ٤/٢٠٨٠ ــ رقم ٥٢ ــ ٢٧٠٦ ــ بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَغَيْرِهِ.
(٢) عمدة القاري ١٤/ ١١٩، ١٢٠.
(٣) شرح أحاديث من صحيح مسلم د/ محمد أبو موسى ٢/ ٩٣٠.

والإقدام، والسخاء بكل ما يستحسن عطاؤه، وصلاح فترة الشباب، والعلم النافع، والقلب الخاشع، والنفس الراضية، والدعوة المستجابة التي هي نتيجة الأعمال الصالحة، فمن ذا الذي يسبقنا إلى التحضر؟

إن عمارة الأرض، والمبادرة إلى صالح الأعمال، وتزكية النفس وطهارتها ووصولها إلى تقواها لن تكون إلا بهذا الدواء الذي وصفه الذي لا ينطق عن الهوى ــ ﷺ ــ، وهذه هي نتيجة علاقة الاستعاذة من رذائل النفوس والتي منها العجز والكسل والجبن والبخل بتزكية النفس وتقواها، فمن شأن مَنْ استشعر في نفسه الإحساس برفض هذه الرذائل (أن يجعل النفس تستشرف إلى طهارتها، وأن يضع الله سبحانه بيده تقواه فيها وأن يزكيها؛ لأنه وليُّها ومَوْلاها، وما دامت رافضة للسخائم التي هي العجز والكسل والجبن والبخل، وما هو مِن بابها، فإنها تأمل وترجو وتطمع أن يَمُدها وليُّها ومولاها بما يحفظها من هذه السخائم، وهكذا نجد الكلام يُمْسِكُ أوّلُه بوَسَطه، ويمسك وسَطَهُ بآخره)[١]، أما علاقة الاستعاذة بالله من الدعوة التي لا يستجاب لها بما قبلها فهي أن الدعوة المستجابة ثمرة العلم النافع والقلب الخاشع والنفس الراضية، (والاستعاذة من أَضْدَادِهَا طَلَبٌ بِوَجَلٍ وحياء لها، هي نهاية الحديث، وهي التي يَعُوذُ بها الداعي، وهي التي يَضَعُها ربنا في يَدَيْه الممدودتين إلى الله، وكل يد امتدت إلى الله لا تعود فارغة حتى يضع الله فيها خيرًا، وهذه هي إجابة الدعوى التي هي آخر كلمة في الحديث الشرف).[٢]

(١) السابق ٢/ ٩٣٦.
(٢) السابق ٢/ ٩٣٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبدأ رسول الله ــ ﷺ ــ بأول هذه الرذائل والأوبئة التي تضعف الأمة وتُوهِنهَا وهو "العجز"، و(العجز يضاد القدرة مضادة الترك، ويتعلق بمتعلقها على العكس)[١]، وأصل العَجْز: التأخر عن الشيء، وهو مأخوذ من العَجُز وهو مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ[٢]، (وَصَارَ فِي التَّعَارُفِ اسْمًا لِلْقُصُورِ عَنْ فِعْلِ الشَّيْءِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي مُقَابَلَةِ الْقُدْرَةِ وَاشْتُهِرَ فِيهَا، وَالْمُرَادُ هُنَا العَجْزُ عَنْ أَدَاءِ الطَّاعَةِ وَالعِبَادَةِ، وَعَنْ تَحَمُّلِ المُصِيبَةِ وَالمِحْنَةِ)[٣]، وأما الكَسَلُ فهو: (التثاقل عمّا لا ينبغي التثاقل عنه، ولأجل ذلك صار مذمومًا)[٤]؛ لأنه تثاقل عن أمر محمود مع توفر القدرة على القيام به، وبين العجز والكسل صلة نسب، وهي ترك القيام بالواجبات، لأن القيام بالأعمال يستدعي القدرة عليها، وترك ذلك إما أن يكون بسبب العجز أو الكسل، وكلاهما مذمومان؛ لأن العجز يطفئ جذوة العزم والحزم المتولدة من طاقات الإنسان، فيصبح عالة على غيره في كل شيء، وأما الكسل فبسببه تضيع فرص العزم والحزم، فيصبح الإنسان طاقة معطلة، لا فائدة منها، فهو والعجز سواء، فإذا ما ترك الإنسان العجز والكسل أصبح طاقة حية ومتجددة قادرة على الأخذ بزمام الأمور مثل أقرانه المتقدمين.

والجبن البخل بينهما صلة نسب فهما أخوان، فالجبن ضد الشجاعة، والجبان مِنَ الرِّجالِ: الَّذِي يَهاب التقدُّمَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ[٥]، فالإنسان الجبان

(١) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ت/ الشيخ بيت الله بيات ٣٥٢.
(٢) ينظر لسان العرب (عجز).
(٣) مرقاة المفاتيح ٤/ ١٦٩٨.
(٤) المفردات للأصفهاني ٧١١.
(٥) لسان العرب (جبن).

كيان معطل، فهو شح بالنفس، والبُخْلُ: (إمساك المقتنيات عمّا لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود)[١]، والمال المحبوس عما لا يحق حبسه عنه مال معطل، فهو شح بالمال، ومن لا يجود بكل ما يستحسن عطاؤه في سبيل الله وإعزاز دينه فهو كيان معطل في الحياة، والبخل (لا يجوز حَصْرُه في الدرهم والدينار؛ لأن هناك عطايا أَنْفَس من الدرهم والدينار، وهي أن تعطيني كيف حصَّلْتَ الدرهم والدينار، الجود بالخِبْرة من أسمى صور الجود، والجود بالنفيس من المهارات أسمى صور الجود)[٢]، سواء أكانت خبرة في علم أو صناعة أو زراعة ...إلخ، ويلحظ أن رسول الله ــ ﷺ ــ استعاذ من "البخل"، ولم يستعذ من "الشح" رغم أن الشح أعم من البخل؛ وذلك لأن استعاذته ــ ﷺ ــ من الأقل يلزم بالتالي الاستعاذة من الأعم والأكثر، لأن عدم وجود القليل يلزم منه عدم وجود الكثير.

والهرم والقبر بينهما صلة نسب فهما أخوان، فالهَرَم: أقْصى الكِبَر[٣]، والقبر أول منازل الآخرة، وهو أول حياة القبر "حياة البرزخ"[٤]، والهَرَم آخر منازل الدنيا، فالهرم دليل على قرب الفناء، والقبر أول باب بعد الفناء؛ و(لأن الهرم رسول المنية وطائرها ونذيرها وصائحها وهذا ظاهر، والذي فيه شيء من الخفاء هو صلة هاتين الأختين "الهرم وعذاب القبر" بما قبلهما، والذي أراه أن ذكر الهرم بعد الاستعاذة من الأربع السابقات يعني أنه

---

(١) المفردات ١٠٩.

(٢) شرح أحاديث من صحيح مسلم د/ محمد أبو موسى ٢/ ٩٤١.

(٣) لسان العرب (هرم).

(٤) والمراد بحياة القبر: حياة البرزخ التي تكون بين الموت والبعث يوم القيامة، وفيها نعيم للمؤمنين الصالحين، وجحيم للكافرين والفاسقين. صحيح البخاري ٢/ ٩٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ــ عليه السلام ــ يستعيذ بالله منها حتى يلقاه وهو بريء من قليلها فضلاً عن كثيرها، وقد أومأ ــ عليه السلام ــ إلى هذه الرابطة في حديث عبد الحمن بن يزيد لما قال ــ عليه السلام ــ: "وأعوذ بك من الكسل وسوء الكبر"(١)، فجمعهما ــ عليه السلام ــ) (٢)، فيجب علينا أن نُصْلِحَ فترة شبابنا؛ لتكون ذكرى طيبة في هرمنا؛ لكي نُبَشَّرَ بالنعيم في أول عتبات الآخرة.

وفي قوله ــ ﷺ ــ: "اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا" يلحظ في هذا الدعاء أنه توسط بين رذائل تصيب النفس وأَرْذَلُهَا العجز، وأشياء تخذل النفس وأَخْذَلُهَا علم لا ينفع، فكأن انتقال النفس من التخلية من الرذائل إلى التحلية بالفضائل لا يكون إلا عن طريق تقواها وتزكيتها بيد الله ــ ﷻ ــ والله تعالى﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١]، وآثر التعبير بتقوى النفس وتزكيتها؛ لأنها الأهم لطهارتها؛ ولأن التقوى أول معين على الطهارة من الرذائل والأوبئة التي يُستعاذ منها، لا سيما المذكورة في الحديث، وعبر بقوله: "تقواها" منكرة ولم يقل: "التقوى" بالتعريف؛ لكي تعم وتشمل النفس بكل ما فيها، وطبيعة النفس أنها أمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، ولا يوجد شيء أفضل من التقوى لكي يَقْوَى على كبح جماحها، وترويضها إلى فعل الخيرات، والبعد عن المنكرات،

---

(١) روي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ــ ﷺ ــ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ ...». صحيح مسلم ٤/ ٢٠٨٩ ــ رقم ٧٥ ــ ٢٧٢٣ ــ بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ.

(٢) شرح أحاديث من صحيح مسلم د/ محمد أبو موسى ٢/ ٩٣٠.

والتقوى هي أول معين على العلم النافع، والقلب الخاشع، والنفس الراضية القانعة، والدعوة المستجابة، وهي أضداد الأشياء التي استعاذ منها رسول الله ــ ﷺ ــ في قوله: "اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا"، وانظر إلى نظم جملة التقوى وربطها بين طرف الحديث وخاتمته في كونها هي المعين على الاستعاذة من هذه الرذائل التي تصيب النفس وهي العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والاستعاذة من أشياء تخذل النفس وهي علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يستجاب لها، وبين كونها هي المعين على أضدادها، ولا يوجد بديل صالح يَعُمُّ ويشمل كل ذلك، أي: جمع النفس بين الكف عن الرذائل وإنتاج الصالحات إلا "تقواها"؛ لأن الله تعالى هو خير مَنْ زكاها، فهو وليها ومولاها، و(جملة "أنت وليها ومولاها" بُنيت على القطع والاستئناف؛ لأنها بمثابة توسل بمعناها لإجابة المطلبين السابقين آتها تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، وكأن الكلام لأنك وليها ومولاها)[١]، (وهذا أبلغ؛ لانطوائه على بيان السبب، أي: أن الاستئناف المبني على الصفة أبلغ؛ لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم... لما يسبق إلى الفهم من ترتيب الحكم على الأمر الصالح للعلية أنه علة له)[٢]، ومن أهم ما يستفاد من الحديث: تقوى الله تعالى هي خير معين على الاستعاذة من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، ومن علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يستجاب لها، وهي المعين على الإعانة على أضدادها.

والله تعالى أعلى وأعلم

---

(١) شرح أحاديث من صحيح مسلم د/ محمد أبو موسى ٢/٩٣٣.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح د/ محمد عبد المنعم خفاجي٣/ ١٢٤ ــ دار الجيل ــ بيروت ــ ط الثالثة من دون تاريخ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، سيدنا محمد ــ ﷺ ــ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى.

وبعد

وبعد هذه الجولة الندية حول الدراسة في ظلال الهدي النبوي توصلت إلى النتائج الآتية:

ــ أن الدراسة تناولت سبعة أحاديث، منها خمسة أحاديث في "الشح"، وحديثان في "البخل"، ومن خلال ذلك تبين أن "الشح" أعم من "البخل"؛ لكثرة وروده، وخطرهما لا يقتصر على الفرد نفسه المتصف بأحدهما أو كلاهما، وإنما يعم الفرد والأسرة والمجتمع.

ــ تنوع الأساليب البلاغية في أحاديث الشح والبخل، فقد جاءت المقابلة بين قوله ــ ﷺ ــ: (تَخْشَى الْفَقْرَ) و(تَأْمُلُ الْغِنَى) تكشف عن حالتي التضاد القائم بين حالتي خشية الفقر، والأمل في الغنى عند الإنسان الصحيح، والمقابلة هنا هي التي تبرهن على صدق المتصدق الصحيح الشحيح، وكذلك الجناس الناقص (اللاحق) بين (صحيح) و(شحيح) يبرهن على صدق المتصدق، وهو من المحسنات اللفظية، حيث يبين النغم اللطيف بين الكلمتين، والجناس يعطى جرسا لطيفا ترتاح له الأذن، ويصغي إليه السامع، وجاء أسلوب القصر بـ (إنما) في قوله ــ ﷺ ــ: (وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الشَّحِيحِ)، (وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ)، يفيد قصر واختصاص صدقة الشحيح أو البخيل على نذره المشروط، ونفي ما عدا ذلك؛ (لأنَّ "إنما"

تأتي إثباتـــاً لما يُذْكَرُ بعدَها، ونَفْيـــاً لِمَا سواهُ)[١]، ويفيد أسلوب القصر هنا التعريض بتوبيخ فعل البخيل؛ لأنه ليس الغرض من "إنما" معرفـــة خـــروج صدقة البخيل، ولا معرفة قِلَّة صدقته، ولكن الغرض توبيخ فعله.

ــ جاء تكرار الفعل "يكفيك ويكفي" في قوله ــ ﷺ ـــ لزوجـــة لأبـــي سفيان: "خذي مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ.."، وهو تأكيد لفظي؛ ليؤكد على الإباحة لأخذها من مال زوجها؛ لأن (التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده)[٢]، وهذا التأكيد في جوابه ــ ﷺ ــ؛ جاء لإزالة استشعارها بالجُنَاح، أي الإثم في أخـــذها مـــن مال زوجها بغير علمه في سؤالها: (فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟).

ــ جاءت الكناية عن شدائد وأهوال يوم القيامة في قولـــه ــ ﷺ ـــ: "فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، والكناية لا تمنع وجود المعنى الحقيقي مـــع المعنى الكنائي، ولكن الكنايَة أبْلَغُ منَ التَّصريح؛ لأن المعنى بها أبلـــغ مـــن الحقيقة.

ــ جاء المجاز العقلي في إسناد التقـــارب إلـــى "الزمـــان" وعلاقتـــه "المعمولية" في قوله ــ ﷺ ــ: "يتقارب الزمان"؛ لأن الله هو الـــذي يقـــارب الزمان، والسر في ذلك تهويل شأن تقارب الزمان حتى لكأنه يسعى ويقترب نحوهم من تلقاء نفسه لينتقم منهم، وهم غافلون، ومثله إسناد الإيتاء إلـــى "الساعة" في قوله تعالى:﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ ﴾ [محمد:١٨].

(١) دلائل الإعجاز للإمام/ عبد القاهر الجرجاني، ت الشيخ/ محمود شاكر ٣٢٨ .
(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي ٥٤/٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ـ كثرة الأفعال المضارعة في حديث أشراط الساعة: "يَتَقَارَبُ ـ يُقْبَضُ ـ تَظْهَرُ ـ يُلْقَى ـ يَكْثُرُ"؛ لاستحضار صورة ذلك المشهد في رؤية حسية كأنك تشاهدها على التوّ.

ـ ظهرت الجملة الأم في بعض الأحاديث، ومنها قوله ـ ﷺ ـ: "مَثَلُ المُنْفِقِ وَالمُتَصَدِّقِ"، وقوله: "مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ"، ثم بُنِيَ الكلام عليهما، حيث (ترى المعنى فيه يبدأ بجملة هي جذرُه، ثم يأتي ما بعدها، وكأنه تفصيل لها، وتوسيع لدائرتها).(١)

ـ تعانقت الصورة البديعية "المقابلة" مع الصورة البيانية "التمثيلة" في إخراج هذه الصورة الفريدة، في قوله ـ ﷺ ـ: "مَثَلُ المُنْفِقِ وَالمُتَصَدِّقِ"، ولو لاها لما تَمَّ نظم المعنى، وتزيد رواية البخاري بقوله ـ ﷺ ـ: "فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا"، بمجيئها عن طريق أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، والذي زاد في دلالة بيان إخراج هذه الصورة الفريدة.

ـ تقوى الله تعالى، وتزكية النفس في قوله ـ ﷺ ـ: "اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا"، توسط بين رذائل تصيب النفس وأَرْذَلُهَا العجز، وأشياء تخذل النفس وأَخْذَلُهَا علم لا ينفع، فكأن انتقال النفس من التخلية من الرذائل إلى التحلية بالفضائل لا يكون إلا عن طريق تقواها وتزكيتها بيد الله ـ ﷻ ـ، والله تعالى﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١].

والله ولي التوفيق

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري د/ محمد أبو موسى ٤٠٥.

فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم جل من أنزله.**

١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ــ المطبعة الكبرى الأميرية ــ مصر ــ ط السابعة ١٣٢٣هـ.

٢. أساس البلاغة للزمخشري، ت/ محمد باسل عيون السود ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٣. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، ت الشيخ / محمود محمد شاكر ــ مطبعة المدني بالقاهرة وجدة ــ ط الأولي ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م

٤. الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن د/ محمد الأمين الخضري ــ مطبعة الحسين الإسلامية ــ خلف الجامع الأزهر ــ ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٥. آل حم غافر ــ فصلت دراسة في أسرار البيان د/ محمد أبو موسى ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط الثانية ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٦. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح د/ محمد عبد المنعم خفاجي ــ دار الجيل ــ بيروت ــ ط الثالثة من دون تاريخ.

٧. بغية الإيضاح لـلشيخ /عبد المتعال الصعيدي ــ مكتبة الآداب ــ القاهرة ــ ط التاسعة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٨. البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ــ دار القلم ــ دمشق ــ الدار الشامية ــ بيروت ــ ط الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٩. التحرير والتنوير للعلامة /الطاهر بن عاشور ــ الدار التونسية للنشر ــ تونس ــ ١٩٨٤هـ .

١٠. التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه د/ بسيوني عبد الفتاح فيود ــ مطبعة الحسين الإسلامية بالقاهرة ــ ط الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١١. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم د/ عبد العظيم المطعني ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط الثالثة ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٢. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ت/محمد خلف الله أحمد، د/محمد زغلول سلام ــ دار المعارف بمصر ــ ط الثالثة من دون تاريخ.
١٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني ــ السعادة ــ مصر ــ ط ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
١٤. دلائل الإعجاز للإمام/ عبد القاهر الجرجاني، ت الشيخ/ محمود شاكر ــ مطبعة المدني بالقاهرة ــ دار المدني بجدة ــ ط الثالثة ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.
١٥. سنن أبي داود، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد ــ صيدا ــ بيروت من دون تاريخ.
١٦. شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول د/ محمد أبو موسى ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ط الثانية ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
١٧. شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأول د/ محمد أبو موسى ــ مكتبة وهبة بالقاهرة ــ ط الأولى ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
١٨. شرح صحيح البخاري لابن بطال، ت/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم ــ مكتبة الرشد ــ السعودية ــ الرياض ــ ط الثانية ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.
١٩. صحيح البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر ــ دار طوق النجاة ــ ط الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٠. صحيح مسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت من دون تاريخ.
٢١. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي ــ المكتبة العنصرية ــ بيروت ــ الأولى ١٤٢٣هـ.
٢٢. طرح التثريب في شرح التقريب لأبي الفضل العراقي ــ الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي ــ من دون تاريخ.

٢٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت من دون تاريخ.
٢٤. عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط الثانية ١٤١٥هـ.
٢٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ ط ١٣٧٩هـ.
٢٦. الفروق اللغوية للعسكري، ت/ محمد إبراهيم سليم ــ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ــ القاهرة ــ مصر من دون تاريخ.
٢٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ ط الأولى ١٣٥٦هـ.
٢٨. كتاب التعريفات للجرجاني، ت/ إبراهيم الأبياري ـــ دار الريان للتراث ـــ من دون تاريخ.
٢٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط الثالثة ١٤٠٧هـ.
٣٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، ت/ علي حسين البواب ــ دار الوطن ــ الرياض ــ من دون تاريخ.
٣١. لسان العرب لابن منظور ــ دار صادر ــ بيروت ــ ط الثالثة ١٤١٤هـ.
٣٢. المجتبى من السنن المسمى بـ: السنن الصغرى للنسائي، ت/ عبد الفتاح أبو غدة ــ باب فَضْلُ مَنْ عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى قَدَمِهِ ــ رقم ٣١١٠ ــ مكتب المطبوعات الإسلامية ــ حلب ــ ط الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣٣. مجمع الأمثال للميداني، ت/ محمد محيى الدين عبد الحميد ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان من دون تاريخ.
٣٤. مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني د/ محمد أبو موسى ــ مكتبة وهبة بالقاهرة ــ ط الثانية ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
٣٥. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي القاري ــ دار الفكر بيروت ــ لبنان ــ ط الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣٦. المطول للتفتازاني، ت د/ عبد الحميد هنداوي ـــ لبنان ـــ ط الثالثة ـــ ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
٣٧. معاني الحروف للرماني، ت/ الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت١٤٣٠هـ٩ ٢٠٠م.
٣٨. معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ت/ الشيخ بيت الله بيات ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ـــ ط الأولى١٤١٢هـ.
٣٩. مفتاح العلوم للسكاكي، ت/ نعيم زرزور ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٤٠. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ت/صفوان عدنان الداودي ـ دار القلم ـ الدار الشامية ـ دمشق بيروت ـ ط الأولى ١٤١٢هـ.
٤١. مقاييس اللغة لابن فارس، ت/ عبد السلام محمد هارون ـ دار الفكر ـ ط ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٤٢. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم، راجعه الشيخ/ عبد القادر الأرناؤوط ـ مكتبة دار البيان، دمشق ـــ الجمهورية العربية السورية، ومكتبة المؤيد، الطائف ـ المملكة العربية السعودية ـ ط ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٤٣. النظرات للمنفلوطي ـ دار الآفاق الجديدة ـ ط الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٤٤. الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، ت/ سيد إبراهيم ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط الثالثة ١٩٩٩م.
٤٥. الواو ومواقعها في النظم القرآني للدكتور/ محمد الأمين الخضري ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط الأولى ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٣٤٥٩
٢.	Abstract	٣٤٦١
٣.	المقدمة.	٣٤٦٣
٤.	التمهيد.	٣٤٦٦
٥.	المبحث الأول: أحاديث "الشُّح".	٣٤٧٠
٦.	١ ـ أحاديث في مقام الحث على الصدقة.	٣٤٧٠
٧.	١ ـ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ فَقَالَ: " أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ...".	٣٤٧٠
٨.	٢ ـ أحاديث في مقام النذر.	٣٤٧٥
٩.	١ ـ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يَوْمًا يَنْهَانَا عَنِ النَّذْرِ، وَيَقُولُ: "إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الشَّحِيحِ".	٣٤٧٥
١٠.	٣ ـ أحاديث في مقام الأخذ من مال الزوج بالمعروف.	٣٤٨٠
١١.	١ ـ دَخَلَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ...".	٣٤٨٠
١٢.	٤ ـ أحاديث في مقام التحذير من الشح.	٣٤٨٤
١٣.	١ ـ "اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ...".	٣٤٨٤
١٤.	٢ ـ "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ...".	٣٤٨٨
١٥.	المبحث الثاني: أحاديث "البخل".	٣٤٩٧
١٦.	١ ـ " مَثَلُ الْمُنْفِقِ وَالْمُتَصَدِّقِ..."، وفي رواية: "مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ...".	٣٤٩٧
١٧.	٢ ـ "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ...".	٣٥٠٥
١٨.	الخاتمة.	٣٥١٢
١٩.	فهرس المصادر والمراجع.	٣٥١٥
٢٠.	فهرس الموضوعات	٣٥١٩

تم بحمد الله